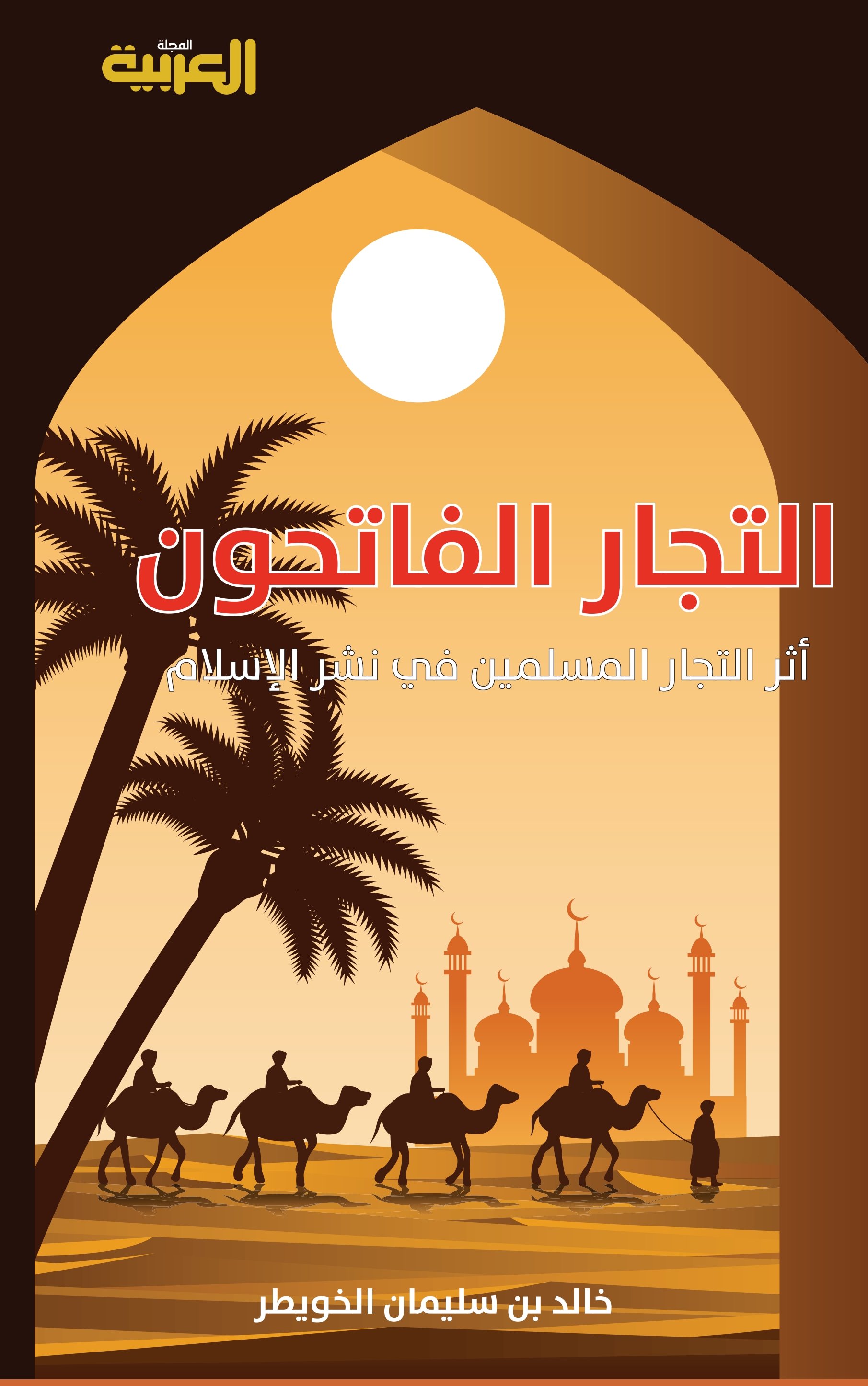
المجلة العربية



التجار الفاتحون

أثر التجار المسلمين في نشر الإسلام

خالد بن سليمان الخويطر

www.arabicmagazine.com

التجار الفاتحون

أثر التجار المسلمين في نشر الإسلام

المؤلف
خالد بن سليمان بن علي الخويطر





رئيس التحرير
محمد بن عبدالله السيف

الرياض. طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين).شارع المنفلوطي
هاتف: 4767345.4777943 فاكس: 4766464
ص.ب 5973 الرياض 11432 | المملكة العربية السعودية

www.arabicmagazine.com
info@arabicmagazine.com



ح الخويطر، خالد سليمان
التجار الفاتحون.. أثر التجار المسلمين في نشر الإسلام / خالد سليمان الخويطر.- الرياض، 1442هـ
128ص؛14×21 سم.- (كتاب المجلة العربية ؛ 537)
ردمك: 6-13-8320-603-978
1 - الدعوة الإسلامية -2 التجار أ.العنوان ب.السلسلة
ديوي 213   1442 / 7867

رقم الإيداع: 1442 / 7867
ردمك: 6-13-8320-603-978

المحتويات

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد بن عبدالله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين آمين. أما بعد:

قال الله تعالى: (إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً)[1] لقد نزلت هذه الآية الكريمة في مطلع سورة الفتح والتي كان سبب نزولها صلح الحديبية في السنة (6 هـ /628م) بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش، وهو الصلح الذي ارتضاه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته ولصالح الجماعة المسلمة آنذاك وتوقف في قبوله بعض الصحابة في أول الأمر حين رأوا أن ظاهر شروطه ضد مصلحة الدين ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان له رأي آخر أبعد نظراً وأصدق مستقبلاً من أولئك المعارضين، وقد جاء التنزيل الحكيم مطابقاً للرأي الذي تبناه الرسول صلى الله عليه وسلم ومثنياً عليه كما ورد في الآية الكريمة التي سبقت، فالله سبحانه وصف هذا الصلح بأنه فتح وليس كأي فتح بل هو فتح مبين، مع أنه لم تحدث حرب ولم تجب غنائم ولم يقيد فيه أسرى، بل إن جميع معطيات الحدث الظاهرية تشير إلى خلاف ذلك، ولكن الآية هنا تتجاوز المظاهر المادية وتشير إلى مكاسب أخرى من نوع مختلف أثبتت الأيام حقيقتها وأهميتها لصالح الأمة والدعوة لهذا الدين لحيثيات متعددة منها باختصار:

1- حصول النبي صلى الله عليه وسلم على معاملة ندّية من قريش لدولة المدينة النبوية، بجلوسها معه للتفاوض اعترافاً بقوته العسكرية على مستوى الجزيرة العربية.

---

(1) الفتح: آية 1.

2- تنازل قريش وإلى الأبد عن مشاريعها المستمرة لتحطيم دولة الإسلام الناشئة.

3- تفرغ المسلمين للدعوة في فضاء الجزيرة العربية وخارجها بعد تحييد قريش في الصراع.

ومن هنا يتأكد أن نصر هذا الدين ليس بالضرورة أن يكون عسكرياً فهناك من الوسائل الفاعلة ما يفوق أثرها أثر الفتح العسكري، إن ما جناه المسلمون من صلح الحديبية لصالح نشر الإسلام ليؤكد تاريخياً أن الإسلام لا ينتشر بالقتل بل يحافظ على حياة الناس لأنه يرجو هدايتهم، لقد تنازل النبي صلى اللّه عليه وسلم عن رغبة آنية تمثلت في رغبته في أداء العمرة وتكحيل عينه بالبلد الحرام الذي أخرج منه ظلماً، تنازل عن هذا ليتمكن بموجب صلح الحديبية من دعوة القبائل وتصفية حسابه مع يهود خيبر وإرسال الرسل إلى الملوك والأمراء لدعوتهم، حتى انتشر الإسلام بعد هذا الصلح كما لم ينتشر من قبله في جزيرة العرب وخارجها.

إن هذا الهدي النبوي العظيم في إدارة صلح الحديبية شكل قدوة ومثالاً احتذاه الكثير من الدعاة والتجار الذين استطاعوا بالوسائل السلمية فتح الطريق للدعوة إلى هذا الدين وجذب الأمم والأقوام إليه.

ومع أنه أسلم عن طريق الوسائل الناعمة النسبة الأكبر من المسلمين إلا أن التاريخ لم يرصد هذه الحركة الكبرى، ولم يسجل الدور البطولي لروادها، رغم أن جهدهم ظاهر لا ينكر، ولعل هذا راجع كما يذكر الدكتور (محمود شاكر) إلى أن التاريخ هو تاريخ ممالك لا شعوب وتاريخ دول لا دعوات.[1]

ولم يضر بتاريخنا كتلك النظرة الضيقة لتراثنا الحضاري الضخم حيث

(1) محمود شاكر، فطاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ص 26.

اعتمدنا منهجاً ظالماً يقوم على استرجاع التراث السياسي والعسكري، وعلى أحسن تقدير التراث العلمي أيضاً، وفي المقابل هناك تجاهل ذريع لجوانب أخرى في حضارتنا لا تقل أهمية في دورها عن تلك الأدوار السياسية والعسكرية والعلمية. ومن هذه الجوانب المهملة ما يتعلق بموضوع هذا الكتاب حول دور التجار في نشر الإسلام، وأدواته ووسائله وأساليبه، ولذا فنحن بصدد تجلية هذا الدور التاريخي الرائد بالقدر المستطاع رغم ما يعترض مثل هذا المطلب من عقبات متراكمة تتمثل بما يلي:

1- عدم وجود نصوص مكتوبة أو مرويات تاريخية مدونة تخلد مثل هذه الأعمال والأشخاص الذين قاموا بها.

2- عدم الاهتمام من قبل الدعاة والتجار أنفسهم بتدوين جهودهم لنشر الإسلام أو التحدث بها لأسباب عدة قد يكون أحدها هو الرغبة في الابتعاد عن الرياء والسمعة والرغبة في إخفاء العمل لمزيد من الأجر الأخروي.

3- أفسح إهمال التدوين المجال لتداخل الأحداث الحقيقية بالأساطير الشفهية الشعبية المحاطة بهالة من الإعجاز والكرامات مما ساعد في تغييب الحقيقة أو الابتعاد عنها على الأقل.

4- أن عملية التأثر والتأثير الفكري يصعب قياس مداها الاجتماعي أو نطاقها الزمني، فهي لا تقاس بعمر الأفراد ولا حتى بعمر جيل واحد، بل هي مجموعة متراكمة من الخبرات والجهود المضنية والمتواصلة ممتدة عبر أجيال وقرون عدة، ولذلك كثيراً ما يتعسر تعيين شخص أو تاريخ ما كعلامة فارقة في تحول شعب من الشعوب إلى الإسلام.

5- اندثار كثير من التراث المكتوب بلغة أهل البلاد الأصليين أو باللغة العربية حيث اندثرت معه قرائن ومصادر مهمة، ولهذا الضياع عوامل

كثيرة من بينها الحروب والفتن، إضافة إلى اتباع السلطات الاستعمارية أساليب منهجية منظمة لسرقة المخطوطات والمصادر الأولية بواسطة المستشرقين والمنصّرين، ومثال ذلك ما حدث من السلطات الهولندية التي كانت تستعمر أندونيسيا.[1]

وأمام هذه العقبات المنهجية يبدو مجال البحث عسيراً ولكن بتوفيق الله عز وجل جمعت مادة دعوية وتاريخية لا بأس بها استطعت من خلالها الوصول إلى نتائج مرضية عن طريق التحليل والقراءة المتأنية لسبر الحقيقة التي طالما سعيت إليها لأهداف عدة منها:

1- المساهمة في تغطية هذه الفترة التاريخية وما فيها من الجهد الدعوي البارز لأسلافنا.

2- تمثيل ذلك الجهد المضني للتجار المسلمين في مجال الدعوة إلى الله، قدوة للأجيال المسلمة.

3- تصحيح بعض الآراء والنظريات حول انتشار الإسلام (عامة) وجهد التجار في الدعوة إليه (خاصة)، والتي روجها المستشرقون المتعصبون.

(1) علوي الحداد، المدخل إلى تاريخ الإسلام في المشرق الأقصى، ط1، عالم المعرفة، جدة، 1405هـ، ص 357، 358، 373.

الفصل الأول

المبحث الأول: النبي ﷺ بين التجارة والبشارة

تناقل مؤرخو السيرة النبوية الشريفة،[1] حادثة خروج النبي صلى اللّه عليه وسلم في تجارة خديجة بنت خويلد (رضي اللّه عنها) وذلك قبل النبوة، وكان مما أغرى هذه السيدة القرشية لدفع أموالها إلى محمد بن عبداللّه صلى اللّه عليه وسلم ما سمعته من أخلاقه وأمانته ورجولته وجديته، وكان أن صدق ظنها به فعاد بتجارة رابحة من الشام وعاد معها ميسرة (غلام خديجة) يرفع تقريره لسيدته عن هذا التاجر الشاب الذي كان مثالاً للأمانة وصدق الحديث وحسن التعامل والوفاء بالوعد والعهد، والبعد عن سفاسف الأمور ورذائل الأخلاق، فلا يحلف إلا باللّه، ولا ينفق سلعته باليمين الكاذبة، وبهذا الخلق الرفيع الذي لم تعهده أسواق الشام التجارية بهر محمد صلى اللّه عليه وسلم كل من تعامل معه في تلك الرحلة من التجار، وأيقن رجال الدين النصارى أن صاحب هذا الخلق لا ينبغي إلا أن يكون نبي آخر الزمان.

لعل هذه التجربة التجارية الناجحة بالنسبة لخديجة (رضي اللّه عنها) هي ما أقنعها بأن هذا التاجر الشاب القرشي صلى اللّه عليه وسلم هو الزوج المناسب فكان أن جمع اللّه بينهما كزوجين ثم زاد الإسلام هذه العلاقة الزوجية مودة ورحمة.

ورغم أن هذه الحادثة وقعت قبل البعثة، إلا أن هذا لا يمنع من أن نلتمس في سيرة نبينا صلى اللّه عليه وسلم من المواقف ما نأخذ منه العبرة والعظة، فسيرته صلى اللّه عليه وسلم في حياته كلها قبل النبوة وبعدها خير وبركة،

---

(1) عبدالسلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، دار البحوث العلمية، الطبعة السادسة، الكويت، 1399هـ، ص 43،44.

وأسوة حسنة. ودلالة التجربة التجارية التي خاضها النبي صلى الله عليه وسلم في شبابه واضحة الصلة بموضوع هذا البحث، حيث يمكن لكل تاجر مسلم أن يجد فيها قدوة ومثالاً يحتذى به وبخاصة فيما يتعلق بالوفاء للمبدأ العقدي والأخلاقي أمام ما يسيل اللعاب له من المكاسب التجارية، ليعكس صدق ما يحمله ذلك التاجر من فكر عقدي وسلوك منهجي.

تأسيس النبي ﷺ لسوق المدينة

ذكر السمهودي قصة تأسيس النبي صلى الله عليه وسلم لسوق المدينة نكاية باليهود لكسر احتكارهم للاقتصاد المدني، فقال: روى ابن شبة أيضاً عن صالح بن كيسان قال: ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبة في موضع بقيع الزبير فقال: هذا سوقكم. فأقبل كعب بن الأشرف فدخلها وقطع أطنابها، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: لا جرم لأنقلنّها إلى موضع هو أغيظ له من هذا، فنقلها إلى موضع سوق المدينة، ثم قال: هذا سوقكم، لا تتحجروا، ولا يضرب عليه الخراج. وعن أبي أسيد أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني قد رأيت موضعاً للسوق، أفلا تنظر إليه؟ قال: فجاء به إلى موضع سوق المدينة اليوم -أي في زمنهم- قال: فضرب النبي صلى الله عليه وسلم برجله وقال: هذا سوقكم؛ فلا ينقص منه، ولا يضربن عليه خراج. وروى ابن زبالة عن عباس بن سهل عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بني ساعدة فقال: إني قد جئتكم في حاجة تعطوني مكان مقابركم فأجعلها سوقاً، وكانت مقابرهم ما حازت دار ابن أبي ذئب إلى دار زيد بن ثابت، فأعطاه بعض القوم، ومنعه بعضهم، وقالوا: مقابرنا ومخرج نسائنا، ثم تلاوموا فلحقوه وأعطوه إياه، فجعله سوقاً.[1]

---

(1) علي بن عبدالله السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العربية، بيروت، ط1، 1419هـ، (2 / 257).

جاء الهدي النبوي بالتوجيه الحضاري لتشجيع الأمة على العمل ومزاولة التجارة، مما يؤكد لنا نظرته المستقبلية صلى الله عليه وسلم حيث كشفت لنا الأيام أن التجارة أصبحت سلاحاً حضارياً وقوة اقتصادية بيد المسلمين هيمنوا بها على العالم وسخروها لخدمة عقيدتهم ونشرها، مرسخاً عالمية هذا الدين وشموليته، حيث يدعونا نبينا الكريم بذلك إلى أن نجمع بأيدينا إلى جانب القوة الإيمانية العقائدية، القوة المادية التي نسود بها العالم وذلك بالإمساك بزمام التجارة العالمية، والتي يجب أن نستثمرها لصالح الدين لتعريف الشعوب الأخرى به ونشره فيما بينهم.

وقد أخذ المسلمون على عاتقهم نشر هذا الدين بكل ما أتيح لهم من وسائل متعددة بالجيوش والدعاة والعلماء منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده، حيث ساهم التجار في الدعوة للإسلام مع استمرار الوسائل العاملة من قبل، وجاء كل هذا مصدقاً لما بشر به النبي صلى الله عليه وسلم من أن المستقبل لهذا الدين في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه (الإمام أحمد) في مسنده عن الصحابي الجليل (تميم الداري)، قال: سمعت رسول الله يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر».[1]

أخذت هذه البشارة النبوية طابع التجدد الدائم على يد كل جيل من أبناء الإسلام المخلصين على مر التاريخ، حيث وصل الإسلام بجهودهم العسكرية إلى أقصى الشرق (كاشغر) مروراً بالعراق ثم فارس ثم خراسان ثم بلاد ما وراء النهر، وإلى أقصى الغرب (جنوب باريس) من مصر مروراً بالشمال الأفريقي ثم الأندلس، هذه هي موجة الفتح الأولى، ثم موجة أخرى

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (16632).

شملت الهند وصقلية، ثم موجة ثالثة أخذت طابعاً سلمياً عن طريق الدعوة والتجارة وهي التي ينطبق عليها لفظ الحديث الشريف الآنف، انطباقاً تاماً حقيقةً ووصفاً، فهذه الموجة لم تترك بيت مدر (طين) أو وبر (شعر) إلا أدخلت الدين فيه، نعم لقد سار الإسلام يفتح الآفاق، وتعشقه الشعوب في العالم القديم. وموجة رابعة قريبة العهد دخل فيها الدين الإسلامي عوالم جديدة في قارات العالم الجديد كالأمريكتين وأستراليا وما بينهما من جزر في لجة المحيط الهندي أو الأطلسي أو الهادي.

ولا تزال تتتابع موجات سياحة هذا الدين في الأرض كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: «بعز عزيز أو بذل ذليل» وبقدرة عجيبة ذاتية الطاقة مع ضعف الأتباع، وقلة الإمكانيات، وضعف النصير، وكيد الأعداء.

المبحث الثاني: الإسلام الفاتح

أستهل هذا المبحث بمقولة للمؤرخ حسين مؤنس يقول فيها: «إني وجدت أن الإسلام فتح بنفسه أضعاف ما فتحنا».[1] ولم يكن هذا ممكناً لولا أن هذا الدين يحمل في ذاته قابلية الانتشار، وهذه القابلية استودعها اللّه دينه نظراً لما تميز به من خصائص تفرد بها عن غيره من الديانات السماوية فضلاً عن القوانين الوضعية البشرية.

لقد جاء الإسلام هدية وهداية من اللّه للبشرية بلغه الحبيب المصطفى صلى اللّه عليه وسلم عن رب العالمين للناس كافة بل للناس والجان جميعاً، وبموجب هذا فقد كان على أتباعه إيصاله لكافة العالمين، وكان أول من قام بهذا الواجب هو نبينا وقدوتنا محمد صلى اللّه عليه وسلم.

إن ما يحمله هذا الدين من خصائص تؤكد قابليته الذاتية للتوسع والانتشار والفتح حتى ولو لم تكن الظروف المحيطة مواتية، فكيف به إذا وجد إخلاصاً من الأتباع ورغبة في الاتباع ووفرة في الإمكانيات والوسائل فلا شك أنه سيفعل الأفاعيل والعجائب التي هي أشبه بالمعجزات، وعندها ستكون دائرة الانتشار أوسع، والثمرة أنضج وأينع.

لقد وقر في قلوب الرعيل الأول من أتباع هذا الدين همّ الدعوة إليه وحمل مشاعله لتضيء العالم الغارق آنذاك في ظلام حالك، لقد أدرك ذلك الرعيل أن دينهم يجب أن يخرج من شرنقة الجزيرة العربية إلى العالم أداءً لواجبهم في تبليغ الحق للناس وإبراءً للذمة، لتنعم البشرية بخيريّ الدنيا والآخرة، ولم تنسهم سطوة الفتح ونشوة النصر الهدف الأسمى الذي من أجله تركوا ديارهم وأهليهم فقد كانوا هداة مهديين ورحماء عادلين.

---

(1) حسين مؤنس، الإسلام الفاتح، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، 1401هـ، ص4.

أما خصائص الإسلام التي مكنته من التوسع والانتشار، فيأتي في مقدمتها، أن هذا الدين هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ولذا فإن الدخول في الإسلام هو استجابة للتوجه الطبيعي للفطرة السليمة المستقيمة، قال الله تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها).[1] وفطرية هذا الدين تأتي من أنه ينقل الإنسان إلى سياق العلاقة الطبيعية مع الخلق والخالق، بمعتقد واضح وشريعة ميسرة لا وساطات ولا تعقيدات ولا أسرار.

ومن خصائص هذا الدين التي كانت سبباً من أسباب تقدمه وانتشاره وقبول الجماعات والأفراد له، هو مبدأ المساواة التي دعا إليها قولاً وطبقها أتباعه عملاً، لتتفتح أمامه العقول والقلوب قبل القلاع والحصون بل وصل الأمر ببعض الشعوب إلى أن تدعو المسلمين لفتحها وتخليصهم من الحكم السائد عليهم آنذاك، كما حدث من أهل مصر، والأندلس، وبلاد ما وراء النهر... وغيرها، إن مبدأ المساواة في الإسلام ما هو إلا تقدير لقيمة الإنسانية لدى الإنسان، واحتراماً لآدميته وحفاظاً على كرامته وفق قوله تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر)،[2] كل بني آدم، أحمرهم وأصفرهم، أبيضهم وأسودهم، عربيهم وأعجميهم في نظر الإسلام سواسية لا فروق فردية ولا عرقية ولا لغوية أمام هذا المبدأ العظيم الذي أشارت إليه الآية الكريمة والذي ضبطه الإسلام بمبدأ آخر جاء في قوله تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)،[3] إن هذه الكرامة والرفعة عند الله فقط فلا يحل لإنسان بموجبها انتهاك حق أخيه الإنسان بظلمه.

---

(1) الروم: آية 3.

(2) الإسراء: آية 7.

(3) الحجرات: آية 13.

إن هذا المبدأ على وجه التحديد هو الذي أدهش الأفارقة الذين كان العالم ينظر إليهم على أنهم أقرب المخلوقات إلى الإنسان في عصر السيادة الرومانية (قبل الإسلام) ثم في عصر سيطرة أحفاد الرومان (الاستعمار الأوروبي الحديث)، ولقد وجد الأفارقة في الإسلام سبيلاً لانتشال آدميتهم من وهدة الوثنية وأغلال العبودية، فاتبعوه وجاهدوا في سبيل نشره بين بني جلدتهم ليذيقوهم ما ذاقوه من حلاوة الإيمان وبرد اليقين، في ظل حياة كريمة.

ومن هذه الخصائص أيضاً، أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان فهو يناسب أي شعب في أي ظروف زمانية أو مكانية، فهو صالح للعرب في صحرائهم، وكذلك للأفارقة في أدغالهم، وللآسيويين في جزرهم، وهو صالح لأهل العصر الذي ظهر فيه كما هو صالح لعصر الاتصالات والفضاء والإنترنت، بل حاجة البشرية للإسلام كدين فطرة في هذا العصر أحوج من ذي قبل وذلك نظراً لتعقد الحياة وغلبة الماديات على الإيمانيات في حياة أهل هذا الزمان، ففي الإسلام طوق نجاة لإنقاذ الإنسان المعاصر.

ومن الدلائل على قابلية الإسلام للانتشار أنه لم يكن حبيس محدودية الوسائل والظروف، فقد انطلق في ظروف متنوعة ومعقدة وعبر وسائل متعددة وخلاقة في حركة عجيبة لا تهدأ ولا تعرف التوقف، أو حتى الانتظار على مدار التاريخ، نعم لا خلاف على أن الله سبحانه وتعالى تعهد بحفظ دينه حيث قال تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).[1] ولكن من حفظ الله أن يسخر لدينه من الأتباع من يحملون تبعات نشره بما توفر لهم من وسائل وقدرات مادية ومعنوية.

(1) الحجر: آية 9.

نعم لقد جاء هذا الدين لينتشر ويبقى، فلم يحدث في التاريخ أن استقرت العقائد في قلوب وعقول الشعوب بالقوة الغاشمة مطلقاً، نعم قد تنجح القوة في تعديل السلوك الظاهري لفترة من الزمن، ولكن سرعان ما تنتكس القناعات والسلوكيات (الظاهرية)، بمجرد زوال القوة التي كانت تحميها، لأن الخوف لا القناعة هو الذي أبقاها، أما الإسلام فإنه خارج هذا السياق الذي يربط الفكرة بالقوة -نشرها واستمرارها- إنه لأمر يدعو للعجب والفخر في آن، كيف تذهب قوة ناشري الفكرة وتبقى الفكرة ذاتها؟ والجواب هو أن هذه الفكرة هي نبتة طيبة قال الله تعالى عنها: (كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء).[1] إن هذه التجربة الحضارية للإسلام لتدعونا إلى استجلاء السر الكامن خلف هذه القدرة الفائقة التي تبقي فكرة هذا الدين وعقيدته راسخة البناء عميقة الجذور، حتى في ظل تلاشي الأسباب المادية التي تضمن عادة القوة اللازمة لحماية الأفكار وحراسة العقائد، إذا لم يكن للقناعة والإيمان واقع في وجدان الشعوب.

ومن أسرار عظمة هذا الدين وانتشاره، أنه لا يعرف في قاموسه مصطلح الإخفاق منذ عهد النبوة وإلى الآن، ولذا تجده إذا تعثر في ميدان واصل تقدمه في ميدان آخر أرحب وأوسع، فعندما توقف مده في جنوب فرنسا لم يلبث أن توسع في غرب أفريقيا (سلمياً) في مساحات تعادل (بالأرقام) مساحة أوروبا بأجمعها، وعندما طرد المسلمون نهائياً من غرب أوروبا وسقطت غرناطة، كانوا قد فتحوا شرق أوروبا ودخلوا القسطنطينية، فغنموا في شرق القارة أكثر مما فقدوه في غربها، إنها نظرية المد والجزر ماثلة في حركة الإسلام الدائمة في حالة لا تعرف الملل ولا الكلل، غير أن مد الإسلام أعلى من جزره في حالات كثيرة جداً، لأن سنة الله تعالى قضت

---

(1) إبراهيم: آية 24.

أن هـذا الديـن سينتشـر بعز عزيز أو بذل ذليل فهو سـبحانه لم يرهن نشـر دينه لأشـخاص، فإذا ماتوا مات، وإذا ضعفوا توقف، وإذا زالت قوتهم زال، بـل جعـل ﻓﻲ الإسـلام طاقة داخلية ذاتيـة تضمن له التقدم والتوسـع لهداية البشـرية وجعل له القـدرة على توليد مناصرين جدد لنشـره، إذا ما تخاذل الأنصـار والأتبـاع، قال اللّه تعالى: (يا أيها الذيـن آمنوا من يرتد منكم عن دينـه فسـوف يأتي اللّه بقـوم يحبهم ويحبونـه أذلة على المؤمنـين أعزة على الكافريـن، يجاهـدون ﻓﻲ سـبيل اللّه ولا يخافـون لومـة لائم ذلـك فضل اللّه يؤتيه من يشاء واللّه واسع عليم).[1]

وإن من جلال هذا الدين قدرته على الانتشار والتوسع حتى وإن قل النصير وضعفت القوة التي تحمي أتباعه، كما أن هذه الطاقة المتجددة تستحدث ﻓﻲ كل مرة وسائل تناسب أي وضع جديد ينتج عن نقص القوة المادية المساندة، ليحـل بدلهـا روح إيمانيـة وقـادة يسـري معها الإسـلام كما يسـري النسـيم العليل، وكالماء العذب الزلال من نهر دفاق.

لقـد هَـزَمَ الإسـلام عـبر تاريخـه الطويـل المليء بالملاحـم كل روح خائـرة تخاذلـت عـن نصرتـه، وكل قلـب خائن انشـغل بما هو أقل شـأناً من شـأنه، بـل لقـد اسـتطاع الإسـلام بمبادئـه الخلاقـة تحويـل أعدائه الذيـن هزموا أتباعـه ﻓﻲ ميادين القتـال إلى مقاتلـين عنـه، حامـين لحياضه، ناشـريه ﻓﻲ أصقـاع جديدة، وإن شـئت نماذج من ذلك فانظر ما فعله الإسـلام بالبربر الذين قاوموه أشد المقاومة ﻓﻲ الشمال الأفريقي ثم لم يلبثوا أن انخرطوا ﻓﻲ كتائـب الإيمان فنجدهـم قد عبروا المضيق لفتح الأندلس بقيادة (البربري المسـلم) طارق بن زياد، وكذلك فقد حول الإسـلام أعتى عدو وأشرسه وهم المغـول هادمـو الخلافة العباسـية إلى أن صـاروا جنوداً من جنـوده متخذيه

(1) المائدة: آية 54.

عقيدة وشريعة لحياتهم، ومنهجاً لبناء دولتهم. إن هذه الظاهرة التاريخية الفريدة استرعت أنظار دارسي التاريخ البشري ونالت إعجابهم من الغربيين ممثلين بطائفة من المستشرقين المنصفين، ويتضح هذا الإعجاب بما يظهر من مدوناتهم وكتاباتهم المتداولة.

ونختم بميزة استطاع بها الإسلام أن يتفوق على غيره من الأفكار والمبادئ الأخرى، وهي خصيصة اليسر والسماحة فكما بدأنا هذه الخصائص بخاصية (فطرية هذا الدين) فإن يسره وعفويته مكملة لها، إن هذه السهولة جعلته يدخل الدور والقصور كما يدخل الصحراء والجزر ويقتحم حياة الأغنياء كما يدخل حياة الفقراء، لأنه بهذه الميزة أصبح مستساغاً سهل التطبيق قريب المأخذ، لا غموض فيه، ولا أسرار ولا طقوس ولا كهنوت.

فخذ مثلاً حين تحين الصلاة فيرى الوثني ذلك التاجر المسلم يتوضأ ويقيم صلاته في المكان الذي أدركته الصلاة فيه فهو لا يفرط في صلاته يقيمها على راحلته أو سفينته أو في محل نزوله أو في مسجده بكل خشوع وسماحة.

لقد قارنت الشعوب بين الإسلام وبين ما كان لديها من وثنية باطلة، فرضيته ديناً لها، وعندما جاء المستعمر بعنصريته أيقنت بسلامة اختيارها ورشد رأيها في اختيارها لدين الله الحق خصوصاً بعد ما رأت من جيوش المنصّرين من جشع وطمع وتناقض بين القول والفعل، وضيق النظرة وأنانية المصلحة، فأيقنت أن ما لديها من دين الله الخاتم هو خير لها في الدنيا والآخرة حيث أخرجها من عبودية العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة. كل هذه الخصائص مجتمعة دفعت الشعوب إلى دين الإسلام راغبة لا راهبة مصداقاً لقول الله تعالى: (إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً).[1]

---

(1) النصر: آية 1، 2.

المبحث الثالث: شبهات وشهادات

كل دارس للفكر المعاصر يعرف جهود المستشرقين التي لا تخفى في عدوانهم السافر على الأمة الإسلامية والطعن في تاريخها التليد ورموزها القيادية ومبادئها العقدية، وليس من دافع لهم غير الحقد الذي يحركهم بقصد تشويه رموزنا الفكرية وإنجازاتنا الحضارية، كل هذا باسم الدراسة الموضوعية وتحت غطائها الفضفاض، ومما ساهم فيه المستشرقون لبث سمومهم حوله ما يتعلق بظاهرة انتشار الإسلام قديماً وحديثاً، وقبل الخوض في شبهاتهم حول هذه الظاهرة والرد عليها نود أن نذكر أن هناك طائفة من المستشرقين أنصفوا الإسلام وأشادوا بتاريخه وأخلاق أهله، بل إن بعضهم دفعتهم تلك الدراسات إلى اعتناق الإسلام، ونود أن ننوه أيضاً إلى أن بعض هؤلاء المستشرقين قالوا ما قالوه عن الإسلام جهلاً منهم بحقيقته أو بسبب ضيق أفق نظرتهم، أو أنهم بنوا آراءهم على مقدمات غير صحيحة أدت بهم إلى نتائج خاطئة، ومع هذا فقد قال بعضهم في الإسلام شهادات حسنة تحسب لصالح المنصفين منهم، وسنتطرق إلى تلك الشهادات وسنستشهد ببعضها في سياق الرد على تلك الشبهات على قاعدتي (من فمك ندينك) و(شهد شاهدٌ من أهلها).

ومن أشهر هذه الشبهات الذي أثارها الغربيون بكثرة ضد الإسلام هو أنه انتشر بحد السيف، إشارة منهم إلى حركة الفتح العسكري التي حدثت في القرن الهجري الأول، والتي مثلت إحدى وسائل نشر الإسلام أو لنقل إحدى مراحله، ونسي هؤلاء أن الإسلام انتشر بوسائل أخرى كثيرة، ونسوا أن ما فتحه الإسلام بالدعوة والتجارة والمصاهرة أوسع مساحة وأكثر أتباعاً مما فتحه عسكرياً، وقد تغاضى هؤلاء جاهلين أو متجاهلين عن أن الإسلام

حين قاتل بالسيف فاتحاً لم يكن هذا لشهوة القتل، ولم يكن من أجل إرغام الناس على اتباع هذا الدين بل الهدف هو إزالة طواغيت الأرض وأنظمتهم الظالمة التي تمنع الناس من حق اختيار طريق الهدى والصلاح في الدنيا والآخرة، وذلك أن المسلمين الفاتحين خيروا من يقاتلونهم بين ثلاثة أمور قبل مصاولتهم وهي: الإسلام، أو الجزية، أو الحرب، كما كانوا يمنحونهم مهلة زمنية مناسبة لمراجعة هذه الخيارات، فإن آثروا الإسلام فهو الهدف الأسمى لناشريه وكفى الله المؤمنين القتال، وإن كان خيارهم الجزية فيلزمهم دفع مبلغ ضئيل من المال مقابل إسقاط التجنيد العسكري عنهم والتعهد بحمايتهم كمواطنين (أهل ذمة) وضمان حرية المعتقد لهم، وإن كان للأعداء رغبة عن الإسلام ورغبة في القتال فلهم ذلك، مع ملاحظة أن الفاتحين المسلمين استخدموا حقهم كفاتحين في أضيق الحدود، وتحت ضوابط أخلاقية نبوية صارمة، فهم لا يبدؤون بالقتال إلا بعد الإنذار والمهلة، كما أنهم لا يقاتلون إلا المقاتلة، وإن قتلوهم لم يمثلوا بهم، وإن أسروهم عاملوهم بالحسنى، واجتهدوا في دعوتهم إلى الإسلام.

ثم نقول لهؤلاء المستشرقين ألم تضعف قوة المسلمين في فترة من فترات تاريخهم؟! فهل ذهبت العقيدة من قلوب تلك الشعوب المفتوحة مع ذهاب قوة الفاتحين؟ أم بقيت راسخة صامدة؟ وها هو التاريخ أمامنا يفتح لنا صفحاته فهل نجد فيه مرحلة أضعف من المرحلة التي تمر فيها الأمة الإسلامية اليوم؟ ومع هذا نرى أن الإسلام ما زال بعقيدته وفكره -مجرداً من أي قوة- يغزو الشعوب بلا سلاح سوى سلاح العقيدة وقوة الإيمان وأصالة المبادئ، لذلك نقول لأولئك المستشرقين إن الجهاد ما هو إلا قوة تزيل القوى التي تحجب الخلق عن الاتصال بالخالق سبحانه. والحقيقة أنه ينطبق على ترويج المستشرقين لهذه الفرية القول السائد (رمتني بدائها

وانسلت) فالنصارى عبر تاريخهم هم من تعصب لنشر دينهم بالقوة والإجبار، فهذا التاريخ الإسباني -مثلاً- مشحون بمآسي محاكم التحقيق وغرف التفتيش -بعد سقوط الحكم الإسلامي في الأندلس- والتي كانت بالمرصاد لكل مسلم أو يهودي بل حتى لكل نصراني على غير الكاثوليكية. وكذلك ما فعله الملك الفرنسي (شارلمان) ضد كل ساكسوني لا يدخل النصرانية حيث أصدر قراراً ملكياً يرغمهم على اعتناق النصرانية وإلا ستكون العقوبة هي الموت، وقد قتل بموجب هذا الأمر الملكي في يوم واحد (4500 ساكسوني).[1] وفي العصر الحديث يقول أحد المنصّرين الأمريكيين في نيجيريا عام (1314هـ / 1896م): «الحرب في الغالب باب لدخول الإنجيل في بلد ما فالسيف الحديدي غالباً ما يسبق السيف الروحي».[2]

وفي مقابل كل هذا الافتراء لدينا جملة اعترافات من المستشرقين بالجهود السلمية لنشر الإسلام، ومن ذلك ما قاله أحد نصارى إسبانيا: «كان من مكر العرب أن تظاهروا بأنهم لا يهتمون بدخول الناس في الإسلام، فتطلعت نفوس الناس إلى ذلك الإسلام».[3]

ويقول المستشرق (توماس أرنولد): «من الدلائل على الروح السلمية التي كانت تسري بها الدعوة الإسلامية في أفريقيا، هو بقاء جماعة البمبارا الوثنية إلى الآن بمعتقداتهم رغم أنهم أحيطوا لعدة قرون في بحر من القبائل الأفريقية المسلمة»،[4] أما المستشرقة الألمانية (آنا ماري شيمل) فتقول في كتابها (الإسلام دين الإنسانية):[5] «إن الإسلام لم ينتشر بحد

(1) مجلة الأمة، العدد (17) جمادى الأولى عام 1402هـ، ص22.
(2) مجلة الأمة، العدد (44) شعبان عام 1404هـ، ص48.
(3) حسين مؤنس، الإسلام الفاتح، (مصدر سابق)، ص15.
(4) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط3، القاهرة، 1970م، ص358.
(5) صحيفة الشرق الأوسط، بتاريخ (1/11/ 2000م).

السيف بل بما جاء به من قيم روحية ومبادئ سامية، وإن الفاتحين كانوا رحماء بالشعوب المفتوحة ولم يرغموا أحداً على تغيير معتقده حسب الآية الكريمة (لا إكراه في الدين)»،[1] أما المؤرخ الفرنسي (غوستاف لوبون) فيقول: «لو كانت القوة عاملاً في انتشار القرآن ما ترك العرب المغلوبين أحراراً في دينهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل».[2]

وللمزيد في الرد على هذه الشبهة الاستشراقية نؤكد على الحقائق التالية:

1- أن أكثر من ثلثي مسلمي العالم اليوم وصل الإسلام إليهم بوسائل سلمية متعددة كالتجارة والدعوة والهجرات البشرية والمصاهرة.

2- قد تنجح القوة في فتح القلاع والحصون واقتحام الأسوار ولكن بأي حال لا تستطيع أن تستولي على العقول والقلوب، ولن تفلح في تغيير السلوك وأنماط الحياة إلا ظاهرياً.

3- لا يمكن للقوة أن توفر مناخاً مناسباً ولا بيئة صالحة للإبداع الحضاري في مجالات العمران والعلوم والآداب كما حدث واقعياً من المشاركة الحضارية للشعوب التي دخلت في الإسلام.

4- جاء استخدام القوة في نشر الإسلام كوسيلة من الوسائل، أو مرحلة من المراحل بهدف فتح الطريق للأفكار في مناخ من الحرية المطلقة لتختار الشعوب ما يناسبها دون رهبة أو اضطهاد.

---

(1) البقرة: آية 256.

(2) غوستاف لوبون، حضارة العرب، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ص27.

ومن هذه الشبهات أيضاً ما يدعيه المستشرقون أن الإسلام كما أطلقوا عليه (دين صحراوي) وأن صلاحيته محدودة الزمان والمكان والخطاب، وأنه لا يصلح إلا أن يكون ديناً للعرب الحفاة العراة ومن شابههم من الشعوب المتخلفة في آسيا وأفريقيا، وبالتالي لا يصلح كنظام حياة وأسلوب حضاري لمخاطبة الشعوب الأخرى ذات الدماء الزرقاء! وسموه كذلك (الإسلام الأسود) أي أنه لا يصلح ديناً للرجل الأبيض.

وللرد على هذه الفرية ليس لدينا أبلغ ولا أنصع حجة من حجة التاريخ الذي يشهد بأن الإسلام استطاع كسر حكم الأكاسرة، ومضى ينتقص من الروم أطرافها حتى انقض عليها في عقر دارها، وبين هذا وذاك ورث المسلمون حضارات ودويلات ومدناً ومدنيات، وبنوا فوقها حضارة أعظم ومدنية أرقى استمدوها مما لديهم من قيم وعقائد ومبادئ استقلوا بها عن غيرهم، قال الله تعالى: (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديراً)[1]، وقال تعالى: (كم تركوا من جنات وعيون، وزروع ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك وأورثناها قواماً آخرين، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين).[2]

ومن الشبه التي ساقها المستشرقون أيضاً أن الإسلام دخل إلى حياة بعض الشعوب فلم يحدث أثراً يذكر عندما حل بدارها، فلم يقدّم لها المفيد ولم تجد لديه الجديد، لأن تلك الشعوب كان ما لديها أفضل مما جاء به الإسلام بل إنها أكثر تطوراً وتقدماً من حملة الإسلام الأوائل، وقد يبدو هذا منطقياً إذا كانت المقاييس المادية هي السائدة فالعرب أهل الجزيرة بالتأكيد لم يكونوا كالفرس والرومان في الأخذ بالأسباب المادية للمدنية في العمران

(1) الأحزاب: آية 27.

(2) الدخان: آية 25 — 29.

والعلـوم والفنـون... إلـخ، ولكـن الجوهر الـذي كان يحمله أولئـك الفاتحون هـو توحيـد اللّه ونبـذ الشـرك والوثنيـة والذي ينسـجم مـع وظيفة الإنسـان الأساسـية ـ في الحيـاة ألا وهـي عبـادة اللّه وحـده (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبـدون).[1] أما المظاهر المادية فقد انهارت أمام العقيدة التوحيدية ثم ما لبث المسـلمون (الفاتحـون والمفتوحون) أن بنوا فوقها مدنيةً أعلى سـقفاً وأجمل بناءً مع الحفاظ على المكتسـبات الحضارية للأمم السـابقة والتي لا تتعارض مع الإسـلام (الدين الجديـد)، ولك أن تقلـب ناظريك ـ في التاريخ لـترى ما فعل الإسـلام ببدائيـة أفريقيا ووثنيات آسـيا، ومـاذا فعل بهمجية أوروبـا وتخلفهـا، وهـل هنـاك أكـثر تخلفاً مـن خرافة تعدد الآلهـة؟ نعم لقد انهـارت هذه المدنيـات لأنها لم تكن تحمل من المقومات ما تسـتطيع الوقوف به أمام بريق حضارة الإسلام، الذي انتشر عن طريق عولمة التجارة والفكر فأحدث أثراً بالغاً على جميع نواحي الحياة لدى الشعوب التي فتحها.

ومـن افـتراءات المستشـرقين، القـول إن هـذا الدين دين أخـلاق ومثاليات، وهـم –بالطبـع– لا يقصدون من هذا الثناء على الإسـلام بـل يرمون بخبث إلى الطعـن فيـه، فهـم يريدون الوصول مـن ذلك إلى القـول بصعوبة تكرار تجربـة الإسـلام واقعياً ـ في العصر الحديث كما حـدث لها ونجحت ـ في عهده الأول. والحقيقة هي أن المستشـرقين ـ في هذه الحالة يقومون بعملية إسـقاط نفسي لما رأوه من تجربة المسيحية التي تحولت إلى رهبنة شخصية لا تصلح لبناء حياة جماعية فأرادوا الحكم على الإسـلام وفق التجربة الأوروبية، مع أن الإسـلام جـاء متوازن النظرة حيث اهتم بعنصري الإنسـان الأساسـيين وهما الروح والجسد كما قال اللّه تعالى: (وابتغ فيما آتاك اللّه الدار الآخرة ولا تنـس نصيبك من الدنيا وأحسـن كما أحسن اللّه إليك ولا تبغ الفساد ـ في

(1) الذاريات: آية 56.

الأرض إن الله لا يحب المفسدين) .[1] وللرد على هذا الافتراء نقول: لولا واقعية الإسلام وعنايته بجميع جوانب الإنسانية المعنوية والمادية لما اتخذ المسلمون من التجارة التي هي من أرقى الأنشطة السكانية وأهمها حيوية في حياة الشعوب وسيلة من وسائل نشر دينهم وإيصال عقيدتهم وفكرهم مع كل قافلة وحملها مع كل سلعة يتاجرون بها، هذا مع ما تمثله التجارة من أقصى درجات الالتصاق بالحياة الدنيوية، ويقول مونتجمري وات: «كانت هناك مناطق مثل شرق أفريقيا وجنوب آسيا انتشر الإسلام فيها نتيجة نشاط رجال الأعمال إذ لم يكن للمسلمين في تلك المناطق الوثنية أية سرية في ممارسة الصلاة خمس مرات يومياً، وإن إخلاص هؤلاء المسلمين والتزامهم المتزن بالإسلام الحنيف أذهل الوثنيين الذين كانت لهم علاقات تجارية مع المسلمين مما أدى إلى اعتناق الإسلام والاختلاط عن طريق الزواج إلى تكوين مجتمعات إسلامية صغيرة وسط المناطق الوثنية ونمت تلك المجتمعات بصورة تدريجية».[2]

ومن الشبهات التي درج المستشرقون على دسها فيما يتعلق بانتشار الإسلام في بعض المناطق الإسلامية، قولهم إن هناك تشابهاً بين الإسلام وخصائص الوثنية الهندوكية التي كانت سائدة في جزائر أندونيسيا قبل مجيء الإسلام إليها،[3] وهذا الافتراء مردود عليه، فالقائلون بهذه الفرية هم أول من يعلم زيفها لو صدقوا مع أنفسهم فالإسلام جاء كعقيدة وشريعة ونظام حياة مستقل مبلغ من الله جل وعلا، والهندوكية وثنية لا تمت إلى أي دين سماوي بأي صلة، بل إن الإسلام هو الذي هدم عروش الهندوكية

---

(1) القصص: آية 77.

(2) عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الأولى، الرياض، 1412هـ.

(3) الحداد، هامش المحقق، مصدر سابق، ص226.

وقضى عليها وكان هو الأقوى والأعلى فكيف يستساغ أن يتأثر بها أو يقتبس منها.

وفيما يتعلق بجزائر أندونيسيا وما حولها حاول دارسو تاريخ هذه المنطقة من المستشرقين الهولنديين (خاصة) إثارة شبهات عدة، فقالوا مثلاً إن التأثير الإسلامي جاء إليها من ساحل المليبار (الساحل الغربي للهند) وليس عن طريق العرب من التجار والدعاة، وهم يرمون إلى أن مجيء الإسلام إلى هذه الجزر جاء كما جاءت من قبله الهندوكية وهدفهم من ذلك تصوير مجيء الإسلام على أنه حدث ليس ذا شأن وأنه حلقة من سلسلة التأثيرات الأخرى السابقة، ويتضح عمق هذا الكيد عندما تراهم يقولون إن الإسلام لم يأت بشيء جديد بل إنه جاء إلى منطقة متقدمة حضارياً فكأنها لم تكن بحاجة إليه، وقد صاغ الهولنديون مناهج التعليم الأندونيسية على أساس الاهتمام بتاريخ العصر الهندوكي والإشادة به والقفز إلى فترة الاستعمار الهولندي متجاوزين قروناً من الحكم الإسلامي لأندونيسيا،[1] كما أنهم يزيدون بقولهم إن الإسلام جاء متأخراً إلى هذه البلاد الأندونيسية وما حولها، ويؤخرونه إلى القرنين (7 و8هـ/ 13 و14م)، وهم يهدفون من هذا التوجه إلى الإيحاء بأن الوجود الإسلامي وأثره في الحياة كان ضعيفاً نظراً لحداثة دخوله إلى المنطقة التي استعمروها وأن فترة سيطرتهم هي التي رقت الأمة الأندونيسية وطورتها وأنه لم يكن للإسلام أثر حقيقي ملموس قبل احتلالهم للجزر الأندونيسية.

ومن الشبهات أيضاً، الرأي القائل إن فترة الاستعمار شهدت ازدهاراً ملحوظاً في حركة نشر الإسلام عن طريق التجارة خصوصاً فيما يتعلق بالشأن الأفريقي، وأن مرد ذلك إلى أن قبضة الاستعمار المركزية وقوته

(1) الحداد، هامش المحقق، مصدر سابق، ص230.

العسكرية شدت حبل الأمن فأمنت الطرق وأدخلت التنظيمات وأنشأت المؤسسات، ولم تجد السلطات الاستعمارية هناك سوى المسلم الذي كان قادراً على المشاركة في التنظيم لأنه متعلم ومثقف[1] ومتحضر وغني، وأن هذا الوضع أتاح للتجار المسلمين التجول ببضائعهم بأمن ودعة والوصول إلى مناطق لم يكن بإمكانهم الوصول إليها بفضل وسائل النقل الحديثة كالسكك الحديدية والسفن البخارية.

وعند النظر في حيثيات هذا الزعم يتبين لنا زيفه من عدة وجوه منها:

1- أن الإسلام أحدث نقلة نوعية في حياة الأفارقة تجارياً وثقافياً وسياسياً قبل مجيء الاستعمار.

2- أن جهود الدعاة والتجار لم تكن بحاجة إلى الاستعمار وإنجازاته، فهؤلاء حققوا العظائم قبلها.

3- أن الاستعمار جاء ونصب عينيه غايتان لا ثالث لهما: (الأولى): الاحتلال، من خلال استغلال ثروات البلاد المستعمرة أبشع استغلال، سياسياً واقتصادياً. (الثانية): التنصير، وبالتالي لم يكن همه خدمة الإسلام كما يزعمون بل إن جميع سياساته تعارض جهود نشر الإسلام في المناطق التي يسيطر عليها.

4- إن هيأ الحكم الاستعماري ظروفاً مناسبة استفاد منها الدعاة والتجار فهذا لم يكن مقصوداً منه لخدمة الإسلام حتى يشكر عليه وإنما هذا عائد لطبيعة الحكم الاستعماري الذي يعتمد في بسط سيطرته على النمط المركزي في إدارة البلاد التي يستعمرها، بهدف إحكام سيطرته على الوضع في مناطق نفوذه.

---

(1) توماس أرنولد (مصدر سابق)، ص382.

5- أن الزعم الذي أورده المستشرقون لا ينطبق على جميع أفريقيا ولا على السلطات الاستعمارية، بل إنه لا يسري فعلاً إلا على مناطق الحكم الاستعماري الألماني في تنجانيقا (تنزانيا اليوم) فقط.[1]

6- يشهد التاريخ أن الاستعمار للقارة السوداء وجيوش المنصرين تطفلت على الحياة هناك وأفسدتها، وقامت كعقبة كؤود أمام المد الإسلامي، وأعاقت وسائله العاملة عن طريق التجارة والتجار، بل وهدمت كياناته السياسية، وقد تعاور المنصّرون والعسكريون رجال الإسلام ومؤسساته وقضوا على كل المكتسبات الحضارية له، أما روح الإسلام التي تشبع بها الأفارقة فقد بقيت متقدة حتى أشعلت نار المقاومة والجهاد وطردت المستعمر من بلادها، ولكن المستعمر احتاط لنفسه فقبل خروجه زرع مستعمرين سوداً ممن تربوا في مدارسه التنصيرية ودوائره السياسية.

وإليك في الختام طائفة من الشهادات المتفرقة التي اعترف بها كتاب غربيون من مختلف المشارب، ستجد في هذه الشهادات ما يفند ما سبق من شبهات صدرت من بني جلدتهم، (فخير الفضل ما شهد به الأعداء)، لأن أفضل طريقة نرد بها على هؤلاء الغربيين هي الاستشهاد بما كتبه المستشرقون بأنفسهم أو كتبه أقرانهم، ومن هذه الشهادات:

1- يقول (جورج كمبل) وهو جغرافي أمريكي معاصر في كتابه (أفريقيا الاستوائية): «لا يقتصر نفور الأفريقي من السير على المنهاج الغربي، بل يتعداه إلى وجوب البحث عن منهاج آخر أوفق للعقل الأفريقي والظروف الأفريقية، مع تفضيل الإسلام -لتسليمه بمواطن الضعف الإنساني وإغضائه عن فوارق الألوان- على المسيحية بما تدعو إليه من الدقة وتشتمل

(1) حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، 1407هـ، ص380.

عليه من الكهنوتية المعقدة والاعتراف بالفوارق الكثيرة، فضلاً عن الارتباط بين وجودها ووجود الطبقات الحاكمة».[1]

2- ويقول (لوثر وب ستودارد) وهو مستشرق أمريكي في كتابه (حاضر العالم الإسلامي) الذي ألفه في منتصف القرن العشرين: «إن عامل انتشار الإسلام هذا الانتشار يجب أن تعلم علم اليقين أن كل مسلم هو بغريزته وفطرته مبشر بدينه، ناشر له بين الشعوب غير المسلمة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وعلى ذلك أن نشر الرسالة المحمدية لم يقم به رجال التبشير وحدهم، بل شاركهم فيه جماعات عديدة من السياح والتجار والحجاج على اختلاف الأجناس».[2]

3- أما المفكر الفرنسي (روجيه جارودي) فيقول في كتابه حوار الحضارات: «إن ما يطلقون عليه اسم (غزو إسبانية) لم يكن غزواً عسكرياً لقد كان عدد سكان إسبانية في ذلك الحين زهاء عشرة ملايين نسمة ولم يزد عدد الفرسان العرب في الأراضي الإسبانية البتة على سبعين ألفاً وإنما لعب التفوق الحضاري دوراً حاسماً».[3]

4- ويقول (كلود كاهن) وهو مستشرق فرنسي رائد عاش في منتصف القرن العشرين في كتابه تاريخ العرب والشعوب الإسلامية: «استطاع الإسلام أن يعوض عن الخسائر التي تكبدها في البحر المتوسط بمكاسب حصل عليها في أفريقيا السوداء، وآسيا الجنوبية الشرقية، ففي السودان كانت القوافل المغربية قد نشرت الإسلام منذ زمن بعيد، أما الزعماء الزنوج المحليون فقد وجدوا في الإسلام مبادئ وتعاليم تساعدهم على إنشاء مؤسسات سياسية

(1) عماد الدين خليل، مصدر سابق، ص306.

(2) المصدر السابق، ص292.

(3) المصدر السابق، ص300.

أرسخ بنياناً من تلك التي عهدوها قديماً في بلادهم».[1]

5- كما قال (جاك كيمن) وهو مستشرق فرنسي في كتابه (الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية): «احتفظ الإسلام في المناطق التي نفذ إليها قبل المسيحية والأوربيين، بتأثيره الموحد، أما في غير ذلك من الأماكن فقد ظل منافساً للمسيحية لأنه أسهل اعتناقاً فالإسلام قد رفع مستوى الحضارة لدى الزنوج».[2]

6- ويقول المستشرق الفرنسي (غوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب): «ساعد وضوح الإسلام البالغ وما أمر به من العدل والإحسان كل المساعدة على انتشاره في العالم... ونفسر بها عدم تنصّر أي أمة بعد أن رضيت بالإسلام ديناً، سواء أكانت هذه الأمة غالبة أو مغلوبة».[3]

(1) المصدر السابق، ص303.

(2) المصدر السابق، ص311.

(3) المصدر السابق، ص314.

الفصل الثاني

المبحث الأول: طرق التجارة الإسلامية وسلعها ومراكزها

قبل الحديث عن جهود التجار في نشر الإسلام لابد لنا من وقفة تاريخية مع شأن التجارة الإسلامية في أزهى عصورها، ليتبين لنا مدى تطورها، وما اتخذته من وسائل وما سلكته من طرق وحجم بضائعها وتنوعها وأشهر تقاليدها، وذلك لإعطاء خلفية صالحة لدراسة الجهود الدعوية للتجار المسلمين وما خلفه نشاطهم التجاري من آثار محمودة في سبيل نشر الإسلام.

بعد أن أتم المسلمون فتح مناطق ممتدة وواسعة بكتائبهم الظافرة في الميادين الآسيوية والأفريقية والأوروبية كان لهذا الإنجاز آثار حسنة على تنشيط التجارة الإسلامية التي كان العرب قد نشطوا فيها قبل الإسلام مع الشرق والغرب، فحيثما سارت الجيوش الإسلامية تركت وراءها طرقاً تجارية سالكة وآمنة، وقد تطورت التجارة الإسلامية في الفترة التي تلت الفتوحات العسكرية بعد أن استقر الحكم الإسلامي في المناطق المفتوحة، بل لقد كان النشاط التجاري عنواناً على التقدم العام الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية إبان نهضتها، فوصول المسلمين إلى أعالي البحار وأقاصي الكرة الأرضية المعروفة آنذاك يعكس مدى التقدم العلمي والصناعي الذي حققه المسلمون من خلال براعتهم في الملاحة البحرية والإبداع في صناعة السفن حسب تلك المتطلبات، كما أن وصولهم إلى مناطق واسعة وشاسعة براً وبحراً دون أن تعارضهم أي قوة كبرى دليل قاطع على تفردهم في قيادة العالم آنذاك. يقول المستشرق الفرنسي (غوستاف لوبون): «تراهم (يقصد المسلمين) يأتون إلى مكة من أقصى البقاع ويجوبون بقوافلهم

داخل أفريقية كأمر بسيط، فيصادفهم فيها الأوروبيون الذين لا يصلون إليها إلا بشق الأنفس... وكان للعرب منذ السنوات الأولى من قيام دولتهم علائق تجارية بما كان الأوروبيون يشكون في وجوده من البلدان كالصين وبعض البقاع الروسية ومجاهل أفريقية».[1]

إضافة إلى السعي وراء الرزق والكسب الحلال فقد جنى المسلمون فوائد جمة من نشاطهم التجاري، ويأتي على رأسها فائدتان:

- الأولى: قدرتهم على إيصال الإسلام إلى عوالم جديدة.

- الثانية: زيادة المعرفة الجغرافية، حيث شكلت مشاهدات التجار مادة خصبة للمدونات الجغرافية الوصفية من خلال الرحلات التجارية البحرية والبرية والنهرية للمناطق التي يرتادها التجار المسلمون. وإثراء معلوماتهم المنهجية عن السكان والأقاليم والسواحل والممرات المائية، وهذا التراكم المعرفي الجغرافي لا شك أنه عاد بالأثر الحسن لصالح الراغبين في الوصول إلى تلك المناطق من التجار والدعاة والعلماء والمهاجرين، ولقد تم جمع هذه المادة الجغرافية من أفواه التجار ومرافقي القوافل إضافة إلى مشاهدات الرحالة بأنفسهم وكان جغرافيو الإسلام كثيراً ما يصرحون بنقلهم من أفواه التجار وتجد هذا أكثر ما تجده عند (ياقوت الحموي) في كتابه (معجم البلدان) ولهذا جاءت معلوماته غنية وشاملة، ويعود ذلك إلى أن التاجر يتجهم الصعاب لتحقيق مصالحه التجارية مما قد لا يوجد دافع مثله لدى الرحالة والجغرافيين، وهذا يؤكد أن التاجر المسلم لم يعبأ بالعقبات ولا بالصعوبات التي يمكن لها أن تعترض طريقه فيقتحم كل المجهول ويرتاد كل معلوم.

---

(1) الحداد، (مصدر سابق)، ص68.

الطرق التجارية

سلك التجار المسلمون طرقاً برية وأخرى بحرية بين قارتي آسيا وأفريقيا، وكانت هذه الطرق هي الطرق التي سار معها الإسلام ووصل إلى مواطن وشعوب كثيرة، وسنقف مع مسارات هذه الطرق لنتعرف عليها.

الطرق التجارية في أفريقيا

كما تعد مصر بوابة الفتح لأفريقيا بعد أن فتحها الصحابي الجليل (عمرو بن العاص) رضي الله عنه في عام (20هـ /640م) فهي كذلك بوابة التجارة الأفريقية فحيثما انطلقت الجيوش تركت وراءها طرقاً ومسالك مفتوحة للتجارة، ونستطيع أن نلمح طريقين رئيسيين ينطلقان من مصر:

الأول: يتجه نحو الغرب بمحاذاة الساحل الجنوبي للبحر المتوسط عبر بلدان الشمال الأفريقي.

الثاني: يتجه من مصر نحو الجنوب حيث بلاد النوبة ثم الشرق الأفريقي وربما يتفرع إلى المناطق المحيطة ببحيرة تشاد والحبشة.

ومن الشمال الأفريقي نحو الغرب ووسط أفريقيا تنطلق الكثير من خطوط التجارة البرية والتي كان انطلاقها يبدأ من مراكز مهمة منها:

برقة: تغادرها القوافل نحو (بيلما) حتى بحيرة تشاد وبلاد برنو.

القيروان: تتجه القوافل منها إلى (نكيدة) لوفرة مناجم النحاس هناك ومنها إلى (كانو) حاضرة منطقة الهوسا بنيجيريا.

تلمسان: إلى ثنية نهر النيجر حيث مدينتي (تنبكتو) و(غاو) التجاريتين.

لمتونة: من المغرب الأقصى بمحاذاة ساحل المحيط إلى حوض نهر السنغال.[1]

---

(1) عبدالقادر محمد سيلا، المسلمون في السنغال، الطبعة الأولى، الدوحة، شوال 1406هـ، ص51.

وهـذه الطـرق البريـة يسـتغرق السـفر فيهـا شـهوراً، وتقطـع فيهـا القوافل صحـارى ممتـدة يقـل فيهـا الماء، وقـد ينعـدم أحياناً لمسـافات طويلـة، وقد تحـاذي هـذه القوافل مسـارات الأنهار، ويكـون عدد مرافقيها عـادة ما بين (50 – 100 رجـل) وقـد تقل أو تزيد،[1] وأغلب الوسـائل المسـتخدمة في هذه الطرق الطويلة هي الجمال، مع استخدام الحمير والثيران في طرق التجارة المحلية البينية حيث المسافات أقصر.

الطرق التجارية في آسيا

سـارت التجارة الإسـلامية في آسـيا عـبر طريقين بري وبحـري، أما البري فهـو الطريـق الشـهير الـذي أطلق عليـه (طريق الحريـر) والذي سـنتناوله بالتفصيـل لاحقـاً، أما الطريق البحري والذي يمخـر عباب المحيط الهندي والبحار المتصلة به فهو ينطلق من نقطتين بحريتين:

الأولى: مـن مينائـي البصـرة وسـيراف علـى سـاحل الخليـج العربي شـرق الجزيرة العربية.

الثانية: من بحر العرب حيث سواحل الجزيرة العربية الجنوبية.

ويلتقـي الطريقـان ثـم يتحـدان كطريق بحري واحـد إلى (سـاحل المليبار) وهـو سـاحل الهند الغربي، ومـن هنـاك إلى جنوب ذلك السـاحل حيث تتجه السـفن إلى سـيلان (سـيرلانكا) ومـن هنـاك إلى بحر الصين حيث ترسـو السـفن قبل الوصول إليه على جزر كثيرة تسـمى قديماً (بلاد الملايو) وهي الآن أندونيسـيا وماليزيا كما ترسـو في أشهر موانئ تلك المناطق آنذاك وهو (ملقـا) ثـم إلى بلاد الصين. ويقول (ياقوت الحموي) واصفاً هذا الطريق: «بـلاد مليبـار التي يجلب منها الفلفل ومن أشـهر مدنهم منجـرور وفاكنور،

---

(1) محمد عبدالقادر أحمد، المسلمون في غينيا، الطبعة الأولى، القاهرة، 1406هـ، ص26.

ثم خور فوفل ثم المعبر (المضيق البحري بين الهند وسيلان) وهو آخر بلاد الهند ثم بلاد الصين فأولها (الجاوة) يركب إليها في بحر صعب المسلك سريع المهلك... ثم إلى صريح بلاد الصين».[1]

المراكز التجارية الآسيوية التي تعامل معها التجار المسلمون

ساحل المليبار

كان التجار العرب يتجهون من جزيرتهم بسفنهم إلى هذا الساحل كما ذكرنا، فيتاجرون مع أهل هذا الساحل الذي كان بعض حكامهم مسلمين وآخرون منهم ليسوا كذلك، ومن النقاط التجارية المهمة على هذا الساحل، منجرور، وقاليقوط، وكيرلا وغيرها، ومن هذا الساحل خرج تجار مسلمون هنود نقلوا جملة من المؤثرات الإسلامية إلى بلاد الملايو.

ثغر ملقا

وصل هذا الثغر البحري الذي يشبه وضع سنغافورة اليوم إلى درجة عالية من التنظيم والمكانة التجارية، بل قامت حول هذا الميناء مملكة إسلامية قوية، وكان من يفد إليها من التجار المسلمين الغرباء يحصلون على مزايا اقتصادية مهمة،[2] وكانت مواردها تقوم على تحصيل الضرائب والدمغات وكان القائم على الميناء هو وزير الخزانة في مملكة ملقا، ويساعده كبير القضاة، ورئيس البحرية الملقية وتحته أربعة من الشاهبندر، حيث يشرف كل منهم على خط تجاري قادم من جهة من الجهات،[3] وبلغ من علو شأنها التجاري أن أغلب ما خاضته من حروب هو في جوهرها حروب تجارية للتحكم

---

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، (1/345).

(2) بريان هاريسون، موجز تاريخ جنوب شرق آسيا، مطبعة الكيلاني، القاهرة، ص96.

(3) المصدر السابق، ص96.

في خطوط الإمداد وتأمينها من أعمال القرصنة،[1] حتى عقدت لها في القرن (9هـ/ 15م)، الزعامة التجارية في آسيا الجنوبية الشرقية،[2] ونقل (بريان هاريسون) عن بعض الأوروبيين قوله عن أهمية ملقا التجارية بالنسبة لأوروبا والعالم: «إنها مدينة خلقت للتجارة وهي أصلح من أية مدينة غيرها في العالم» ويقول أيضاً: «من يكون سيد ملقا تكون حياة مدينة البندقية في قبضته»،[3] ويقول: «إنك ستجد فيها كل ما تحتاج إليه وأكثر مما تبحث عنه، حتى أصبحت مركزاً عظيماً للاستيداع، وأعظم منفذ للفلفل والبهار التي كانت تحتاج إليه مطابخ أوروبا وآسيا لجعل طعامها مستساغاً».[4]

ميناء كانتون

يعد من أهم موانئ الصين الجنوبية، وهو الذي كان يسميه الجغرافيون المسلمون (خانفو)، وبلغ شأواً عظيماً في العصور الوسطى، وكانت تسكنه جالية إسلامية كونت مجتمعاً إسلامياً تجارياً خالصاً، وكان من أهمية هذا المرسى أنه نقطة التقاء لخطوط التجارة الآسيوية القادمة من الشرق حيث (اليابان وكوريا وغيرها) والأخرى القادمة من الغرب، نحو الصين من بلاد الملايو الإسلامية.

السلع التجارية المتداولة

السلع الآسيوية

اختلفت السلع الآسيوية بين العالم الإسلامي وغيره من مناطق التجارة العالمية، فجلب إليه أنواع الأطياب من الهند وجزر أندونيسيا، ومن الصين

(1) المصدر السابق، ص89.
(2) المصدر السابق، ص90.
(3) المصدر السابق، ص96.
(4) المصدر السابق، ص92.

الغضـار الصينـي والحريـر والمنسـوجات الفاخـرة والأطيـاب، وجلبـوا كذلك التوابل من جميع السواحل الآسيوية من الهند والملايو وسواحل الصين. ويقول (ياقوت الحموي): «الجاوة على سواحل البحر شبيهة بالهند يجلب منها العود والكافور والسنبل والقرنفل والبسابسة والعقاقير والغضائر الصينية».[1]

السلع الأفريقية

أشـهرها علـى الإطلاق الذهب، والعاج وريش النعام بالإضافـة إلى العبيد، وقـد ذكـر لنا الإدريسـي صورة من صـور التبادل التجاري بين الهند وشـرق أفريقيـا فذكـر أن أهـم السـلع المتبادلـة هـي الحديـد المسـتخرج من شـرق أفريقيا ويشتريه الهنود منهم في ميناء ممبسا الشهير على الساحل الشرقي لأفريقيا، ويجلب الهنود معهم إلى بلاد الزنج السيوف المصنعة في الهند.[2]

وكانـت تلـك التجارات البحرية تسـتخدم سـفناً مختلفة الصناعـة والملكية فالتجـارة العربيـة تنطلـق إلى الهنـد مـن شـرق الجزيـرة العربيـة وجنوبها بسـفن شـراعية ضخمـة تصنـع محليـاً، بينمـا الصينيـون لا يسـمحون في بحارهـم بدخـول السـفن الأجنبيـة (العربيـة) بـل يفـرّغ التجـار العـرب بضائعهـم في سـفن صينيـة توصلهم إلى مراسـي الصين وقـد حدث هذا في فـترة مـن الفترات التي وضع فيها حكام الصين قيوداً مشـددة على التجارة الخارجية، ومن يقرأ رحلة (ابن بطوطة) البحرية إلى الصين سيرى إلى أي مدى كانت سفن المسلمين والتجار تجوب تلك البحار بكثرة وحرية مما يدل على ضخامة التجارة الإسـلامية، وكان (ابن بطوطة) قد تنقل بهذه السفن كما فعل غيره من الرحالة والمسافرين والدعاة نظراً لما يقدمه أصحاب تلك السفن من تسهيلات لراغبي السفر عليها.

---

(1) ياقوت الحموي، (مصدر سابق)، (440/3).

(2) عبدالرحمن زكـي، الجغرافيـون والرحالـة العرب وما كتبوه عن السـاحل الأفريقي الشـرقي في العصور الوسطى، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، الرياض، 1404هـ، (364/3).

وفي العصر الحديث عندما تطورت السفن من الشراعية إلى البخارية، وغزت السفن الأوروبية البخارية البحار الإسلامية وبخاصة المحيط الهندي، اضطر التجار العرب المنطلقين من الجزيرة العربية إلى استخدام هذه السفن الحديثة السريعة خصوصاً في أواخر القرن (13هـ/ 19م) لكن الاستخدام الأغلب بقي للسفن الشراعية حتى منتصف القرن (14هـ/ 20م) بيد بحارة الخليج العربي وبحر العرب.

التقاليد والأساليب التجارية

في مجال المعاملات التجارية عرفت التجارة الإسلامية الكثير من الأساليب والتقاليد التجارية التي أصبحت من البديهات في عالم رجال الأعمال اليوم، ومن ذلك الوكالات حيث ينصب التاجر وكيلاً عنه في المراكز التجارية على أن يكون مقيماً أو متنقلاً، وعرفوا كذلك الوسيط والحوالات (المكتوبة) والمقاصة،[1] أما الرسوم الجمركية والتي يطلق عليها الفقهاء (العشور)، فقد أخذها المسلمون من التجار العابرين لبلادهم، كما دفعوها لغيرهم، فالمسلمون العرب كانوا يأخذون رسوماً جمركية على بضائع الصينيين تبلغ (10 %) وعلى بضائع أهل الذمة (5 %) وعلى التجار المسلمين (5.2 %) أما الصينيون فيأخذون على التجار الأجانب (العرب) ما نسبته (30 %) وعلى التجار البلغار (10 %).[2]

وقد حرص بعض الحكام المسلمين في الدول المستقلة على تخفيف الرسوم الجمركية (العشور) أو إلغائها عن التجار المسلمين، مما شجع الحركة

---

(1) شوقي عبدالقوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (41–904هـ/ 661–1498م)، الكويت، ذو الحجة 1410هـ، ص275.

(2) محمد رشيد الفيل، أثر التجارة والرحلة في تطوير المعرفة الجغرافية عند العرب، بحوث المؤتمر الجغرافي، (3/ 450).

التجارية وزاد من رواجها ودفعها إلى ارتياد مناطق بعيدة وجديدة والاحتكاك بأهلها ونشر الإسلام بينهم. وعلى العموم كان هناك مبدأ معمول به وهو (المعاملة بالمثل) في سياسة فرض الرسوم والتعاملات والتسهيلات التجارية بين الدول.

الأسر التجارية

لا نعني هنا بالضرورة أسرة النسب ولكن نشير هنا إلى طوائف من التجار جمعتهم حرفة معينة أو نشاط تجاري موحد وقد ينتمون إلى بلدٍ بعينه، ومنهم:

التجار الكارمية: وهم جماعة من التجار المصريين اشتهروا بتجارة التوابل الخاصة وسموا بذلك نسبة إلى الكارم أي (الفلفل)، وقد ظهروا في العصر المملوكي وزاد نشاطهم ليس على مستوى مصر فقط بل كان لهم نشاط تجاري عالمي شهدته أسواق أفريقيا وآسيا وما بينهما من جزر وفي حوض البحر المتوسط إلى أوروبا، وقد ذكر بعض المؤرخين أنهم في عصر السلطان المملوكي (الناصر بن قلاوون) (ت: 741هـ/1340م) بلغوا في مصر أكثر من (200 تاجر كارمي) وكان لديهم أكثر من مئة وكيل ومستخدم يسافرون ويبحرون للاتجار باسمهم،[1] وقد وصلوا إلى درجة عالية من الثراء حتى أن ملوك مصر وأفريقيا يقترضون منهم عند الحاجة، ومن هؤلاء التجار الكارمية:

- التاجر عبداللطيف بن أحمد سراج الدين ابن الكويك، من الإسكندرية (ت:734هـ/ 1333م) وقد أصبح من رؤساء الكارمية، بنى الأوقاف النافعة، وهو الذي أقرض سلطان مالي (منسي موسى) عند عودته من الحج، وعندما ذهب إليه لتحصيل ماله مات في بلاده.[2]

---

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت، ص50.

(2) أبو الفضل أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثانية، حيدر أباد (الهند)، (207/3).

- التاجر ناصر بن محمد بن مسلم، والذي كان له عدة وكلاء في الهند، وغرب أفريقيا، والحبشة، وكانت تجارته تتركز على التوابل والذهب والعبيد.[1]

- التاجر عبدالعزيز المنصوري الذي عاش في القرن (8هـ/ 14م) وقام برحلات تجارية بحرية بنفسه إلى الهند والصين، وكان يجلب الحرير إلى حلب من الهند، وترسو سفنه أحياناً في عدن ويتاجر فيها، وكانت عامة بضاعته المسك والحرير والقاشاني والعبيد.[2]

التجار الحضارم: وهم سكان منطقة حضرموت في جنوب الجزيرة العربية، وقد نشطوا في التجارة منذ القدم في اتجاهين مع سواحل شرق أفريقيا وجزرها، ومع الهند والملايو والصين، وكانوا أوسع نشاطاً اقتصادياً من غيرهم وأبرعهم في إقامة العلاقات التجارية والاجتماعية وتثمينها وتثميرها، مما أدى إلى نشر الإسلام وتكثير أتباعه في المناطق التي يرتادونها للتجارة، ومع هؤلاء التجار تنقل الدعاة بكثرة ملفتة للنظر وأغلبهم من الأشراف الحسنيين، وقد تكونت جاليات حضرمية في الهند وجزر جنوب شرق آسيا بسبب مزاولتهم النشاط التجاري، ولدوافع أخرى كالفقر، وطلب الرزق، والحروب، والفتن الداخلية، والنزاعات المذهبية في بلادهم.

وقد أظهر ذلك تقرير بريطاني نشر عام (1339هـ / 1920م) النشاط التجاري للحضارمة وتاريخهم الملاحي وهجراتهم، ومما جاء فيه: إنهم يركبون سفناً شراعية وصلوا بها إلى أقصى شرق آسيا، وبلغ مجدهم الملاحي بين عاميّ (1262-1272هـ/ 1845-1855م) وأن نشاطهم تعدى

(1) المقريزي، (مصدر سابق)، ص55.

(2) المصدر السابق ص55.

التجارة والصناعة إلى الدعوة حيثما استقروا في جنوب شرق آسيا، وشرق وجنوب أفريقيا،[1] ومن الأسر الحضرمية التي اشتغلت بالتجارة قديماً وحديثاً (أسرة الكاف، والسقاف، وآل الشيخ أبي بكر وغيرهم)، ومنهم في العصور المتأخرة ظهر (حامد عيديد)، والسيد (عبدالقادر السقاف) وهما من نواخذة البحر ولهما سفنٌ شراعية تتاجر بين أندونيسيا وأستراليا.[2]

طريق الحرير

كان لطريق الحرير شأن مهم في تاريخ الحركة الاقتصادية في العالم الإسلامي، فهو ليس طريقاً خاصاً لا يمر إلا في أراضي المسلمين بل يربطهم بعوالم مكانية وعرقية وزمانية غير محدودة، ولذا فقد كان وسيلة حيوية لنقل خبرات متراكمة ليس على الصعيد التجاري وحسب بل الأهم من ذلك انتقال مؤثرات فكرية وعقدية إسلامية إلى تلك الشعوب التي يخترقها الطريق ولأهميته التجارية ومن ثم الفكرية آثرت إفراده هنا تحت عنوان خاص.

تأسيس طريق الحرير: أول من أحيا هذا الطريق هم الصينيون. وكان خطاً تجارياً محلياً في بلادهم ما بين عامي (200ق.م – 200م) وبعد ذلك اشتركت في هذا الطريق بلاد أخرى، فتعدى بذلك محيط بلاد الصين إلى أواسط آسيا ثم خراسان وفارس ثم الهلال الخصيب ومنها إلى بلاد الشام ثم إلى أوروبا عبر سواحل البحر المتوسط، وقد أطلق عليه المسلمون (طريق خراسان) كما ورد عند جغرافييهم مثل (ياقوت الحموي) الذي أورده بهذا الاسم في معجمه الجغرافي أكثر من (20 مرة)، وعند (الإدريسي) في نزهة المشتاق (4 مرات)، أما تسميته بـ(طريق الحرير) فهي متأخرة حيث سماه بها الألماني

(1) الحداد، هامش المحقق، (مصدر سابق)، ص131.

(2) المصدر السابق، ص62.

(فرديناـن فون ريشـتوفين) في منتصف القرن (13هـ/ 19م) وذلك لأنه رأى أن أفخر سلعة كان ينقلها ذلك الطريق هي الحرير الصيني الفاخر.

خـط طريـق الحريـر: يمتد طريـق الحرير عـبر آلاف الأميـال، وطول خطه الرئيسـي من الصين إلى الشـرق الإسـلامي في حدود (5000 ميل)،[1] وإذا أضفنـا إلى ذلـك تفريعاته المتعددة فسـيزيد الرقم كثـيراً، وإذا حاولنا تتبع الخط العام لهذا الطريق فنجد أن النقطة التي تشـكل بداية طرفه الشرقي في بلاد الصين هي العاصمة الصينية آنذاك (تشـيانج آن) وهي (آشـيان) حالياً، وتقع في وسـط الصين، وتبعد عن بكين عاصمة الصين حالياً مسـافة (2000 ميـل) غربـاً، ثم يتجـه الطريق إلى مدينة (تونهونج) ويعني اسـمها (مدينة الكهوف) وهي مدينة حدودية، ثم يتجه الخط (جنوباً) عبر سلسلة جبال وعرة حتى يصل إلى مدينة (كاشـغر) الصينية على الحدود مع آسـيا الوسـطى المعروفـة إسـلامياً ببلاد مـا وراء النهر (نهر جيحـون) حيث يمر هـذا الطريق بمدن عامرة في تلك المنطقة مثل فرغانة وطشـقند وسـمرقند وبخـارى ثـم مرو عاصمة خراسـان، ثم منها إلى همذان ببلاد فارس، ومن هناك يتفرع إلى طريقين هما:

- طريق يتجه إلى العراق ثم إلى الشام ثم يركب البحر المتوسط إلى أوروبا.
- وطريق آخر يسلك الأراضي التركية ليصل إلى أوروبا من هناك.

وهناك طرق تجارية مساندة لطريق الحرير تشكل روافد مهمة له:

- طريق يبدأ من مدينة (توسونج) شمال الصين إلى مدينة (كون لون) ثم إلى بلـخ في أفغانسـتان (حاليـاً) ومنها إلى (مرو) ليلتقي بالخط الرئيسـي لطريق الحرير.

---

(1) مجلة الفيصل، عدد 304، شوال 1422هـ، ص9.

– وطريـق آخـر يأتي من الصين إلى أفغانسـتان من الجنوب مـاراً بغزنة ثم قندهار ثم ينتهي بمرو ليلتقي بالخط الرئيسي لطريق الحرير.

– وهنـاك فـرع مهـم من (طريـق الحرير) يمر شـمالاً بهضبـة التبت ولكنه شديد الوعورة ويستخدم لتجارة المسك فقط.[1]

وفي المحصلة النهائية فقد كان طريق الحرير يمر بما يقارب مئة بلد آسيوي وأفريقي.

القوافل والسلع المنقولة عبر طريق الحرير: استخدمت على طول هذا الطريق التجاري وسـائل نقل متعددة من أشـهرها على الإطلاق الجمال للمسـافات الطويلـة وقـد يصل حجـم القافلـة إلى (10.000) جمـل،[2] وكذلك الحمير والثـيران وكانت طبيعة تضاريس الطريق وطول المسـافة هـي من يحدد نوع الوسيلة المستخدمة، وقد أنشئت على طول الطريق بعيداً عن المدن والأسواق خانات (نزل) يسـتريح فيها المسـافرون التجار ومرافقوهم ودوابهم أيضاً. أمـا أهـم السـلع المنقولة عـبر هذا الطريق فهـي الحرير، والذهـب المصنوع (الحلـي)، والعبيـد، والعـاج، والتوابـل، والمنسـوجات القطنيـة والصوفيـة والحريريـة، والسـجاد، والأصبـاغ، والفخـار، والـورق، والمطابـع (كليشـات الطباعة على الأقمشة).

أثـر طريـق الحريـر: لعل هـذه الجزئية هـي بيت القصيد بالنسـبة لسـياق بحثنـا فقـد قلنـا سـابقاً إن طريـق الحريـر طريـق تجـاري بالدرجـة الأولى لكنـه مـع ذلـك حمل مؤثـرات لا يمكن تجاهلهـا أو التقليل مـن دورها، وأهم هـذه المؤثـرات التي سـارت مع القوافـل العابرة لطريق الحريـر هي العقيدة الإسـلامية مـن خلال التجار أنفسـهم أو من يرافقونهم مـن العبيد والخدم

(1) الفيل، (مصدر سابق)، (3/ 451).

(2) المصدر السابق.

والعاملين والدعاة والمسافرين أو من خلال ما أقامه المسلمون من جاليات عربية إسلامية في البلاد غير الإسلامية التي يتاجرون معها، ومع انتشار الإسلام اختفت تدريجياً الكثير من الديانات التي كانت سائدة منذ زمن بعيد على طول الطريق.

وفي هذا السبيل يقول (الشيخ يانغ) وهو من مسلمي الصين من محافظة (دينغشيان): إن الإسلام جاء إلى منطقته عن طريق من سلكوا (طريق الحرير) من التجار على دفعات، والذين استقر بعضهم في المنطقة مستفيدين من القانون الصيني الذي يسمح آنذاك للتجار الأجانب بالاستيطان فأقاموا وتزوجوا من الأهالي،[1] ولا يزال المسلمون الصينيون الموجودون في مدينة (لينشيا) في مقاطعة قانسو في شمال غربي الصين، والتي كان يطلق عليها (ختشو) يحفظون أن أجدادهم يعود أصلهم إلى المترددين من المسلمين على طريق الحرير في عهد أسرة (تانغ) بين عاميّ (618–907م) والذين تكاثر وجودهم في حكم المغول للصين، وزاد بصورة ملحوظة في عهد أسرة (مينغ) بعد ذلك).[2]

كما أن هناك جالية إسلامية نشأت في عاصمة الصين القديمة التي كان يبدأ منها (طريق الحرير) وهي مدينة (آشيان) الحالية والتي كانت تسمى (تشيانج آن)، وقد ذكرت المصادر التاريخية أن فيها جالية إسلامية كبيرة وقد بنوا لهم مسجداً عام (145هـ / 762م).

تعطل طريق الحرير: شهد التاريخ انهيار التجارة على هذه الطريق العالمي، وتعطل دوره الحيوي بعد هجمات المغول الشرسة والواسعة على العالم الإسلامي منذ غاراتهم على أواسط آسيا حتى بلاد الشام مروراً بفارس

(1) المسلمون الصينيون من هم؟ وأين هم؟، الطبعة الأولى، يناير 1983م، ص82.
(2) المصدر السابق، ص104.

والعـراق، فهـذه الحروب المغوليـة الهمجية التي اسـتمرت ما يقـارب نصف قـرن نشـرت فيهـا الخوف وأفسـدت الأمن وقطعت السـبل وفرقت الشـعوب وأحلـت الخـراب في أركان هذا الطريـق ودمرت مراكـزه التجارية، وعطلت دوره الحضـاري كمجـال حيوي لاحتكاك الشـعوب بعضهـا ببعض بما تحمله من أفكار وتقاليد ومصاهرة.

وفي السـنوات الأخـيرة تحـاول كثـير من الـدول التي عـبر مناطقها (طريق الحرير) إعادة الروح إلى ذلك الطريق وفق رؤية عصرية وبوسـائل حديثة، ومن هذه الدول الصين والجمهوريات الإسلامية في أواسط آسيا والتي يبلغ تعدادها تسع دول مجتمعة وبعض الدول العربية.[1]

وقبل أن نختم الحديث عن التجارة الإسلامية نود أن نقف عند بعض أسباب اضمحلالها وتراجع نشـاطها في العصور المتأخرة، والحقيقة أن الضعف في الجانب الاقتصادي، جاء منسجماً مع الضعف الشامل في جميع نواحي حياة الأمـة المختلفـة، بـل إن هذا الانهيار الاقتصادي ما هـو إلا عرض لمرض كان قد بدأ ينخر في جسـد أمة الإسـلام وأصاب نهضتها العلمية والصناعية في مقتل حيث أصبح المسـلمون عاجزين عـن ملاحقة أمم الغرب الذين تفوقوا عليهـم بما وصلوا إليه من تقدم في الصناعات والعلوم والاختراعات، ومنها على سـبيل المثال صناعة السـفن التي أصبحت أسرع بفضل اختراع البخار، مع ما حققته تلك الدول الغربية من نفوذ سياسي ممثلاً في القوة السياسية والعسـكرية للبرتغال والإسبان والذين استطاعوا بقوتهم العسكرية البحرية الجبارة السـيطرة على البحار وسـواحل اليابسـة في أفريقيا وآسـيا والعالم الجديـد واجـتراح طـرق تجارية لا تمـر بأراضي المسـلمين مما أضـر ضرراً بالغاً بالتجارة الإسـلامية، يقول (فرنكلين بليتر) أسـتاذ الإدارة البلدية في

---

(1) مجلة المجلة، عدد (645)، 17 — 23 يونيو 1997م.

جامعة بتسبرغ في الولايات المتحدة الأمريكية: «جاء البرتغاليون إلى غرب أفريقيا في القرن (15م) من أجل الذهب والرقيق».[1] ورغم الأهداف المعلنة للصليبيين من الإسبان والبرتغاليين لسيطرتهم على البحار وهي أنهم يسعون إلى الكشف الجغرافي إلا أنهم حققوا من ذلك ما كانوا يسعون إليه تحقيقه وهو السيطرة السياسية على العالم من خلال القوة الاقتصادية التي سخروا لأجلها القوة العسكرية البحرية، مع تحقيق الهدف الأهم الذي رافق هذا كله ألا وهو التنصير، وفي سبيل ذلك حرص الاستعمار على ضرب عصب الحياة الإسلامية آنذاك وهي التجارة فمن يمسك بخطوط التجارة ويسيطر على مراكزها يستطيع أن يدير موارد العالم، وقد تحقق لهم ذلك ردحاً من الزمن في غفلة وضعف من الأمة الإسلامية، ففي آسيا سيطر الإسبان والبرتغال والهولنديون على التوالي على مختلف سواحل جزر المحيط الهندي والسواحل الجنوبية لآسيا المطلة عليه فقطعوا سبل التجارة الإسلامية وشجعوا التنصير ونشروا قلاعهم وحصونهم على طول تلك السواحل لحماية مصالحهم، أما في أفريقيا فقد انهارت الممالك العظيمة التي بسطت يدها على غربها كممالك غانة ومالي وصنغي، وانهارت معها المراكز التجارية المزدهرة مثل: تنبكتو، وجنى، وغانة... وغيرها، وضعفت التجارة البينية بين شمال أفريقيا وغربها وبين شرقها ووسطها وتقطعت خطوطها وضعفت وارداتها، ثم جاء الاستعمار واستثمر لصالحه هذه الظروف المحلية كالضعف السياسي والضعف التجاري، فقد بدأ ينهب ذهب أفريقيا ويسترق رجالها لينقلهم عبيداً إلى العالم الجديد (قارة أمريكا) وعزز الغربيون سيطرتهم على القارة الأفريقية باكتشاف (رأس الرجاء الصالح) الذي يحاذي سواحلها الجنوبية.

---

(1) مجلة الأمة، عدد (30) جمادى الآخرة 1403، ص23.

المبحث الثاني: عوامل انتشار الإسلام عن طريق التجار

توافرت عدة عوامل أكدت على دور التجار المسلمين وأثرهم في نشر الإسلام بين شعوب العالم القديم التي وجدت في الإسلام من عوامل الجذب ما شجعها على اعتناقه ومن هذه العوامل:

1- أن الإسلام لم يصادم القائم من العادات والتقاليد لدى تلك الشعوب بل قبل الكثير منها ورد القليل الذي يتنافى مع أصوله وعقائده، فتمسكت تلك الشعوب بما استحسنه الإسلام ورفضت ما رفضه، فقد جاء هذا الدين أول الأمر إلى العرب في جزيرتهم وأقرهم على ما لديهم من صفات الكرم والشجاعة والتواضع والصدق والنجدة، وتكرر هذا مع شعوب أخرى ذات تراث أكثر تعقيداً من العرب كالفرس والرومان والهنود، ففي مجال الفنون (مثلاً) حرم الإسلام تصوير ذوات الأرواح فاستبدله الفنان المسلم بالتوريق، وحرم رفع شعار الوثنيات فرفع المسلمون شعار الإسلام وكلمة التوحيد بالحرف العربي الشريف... وهكذا، ولذا انساب الإسلام في حياة تلك الشعوب بهدوء وسكينة دون أن يحدث انقلاباً عنيفاً في أشكالها السياسية أو أنماطها الاجتماعية، فلا شكلاً سياسياً خاصاً ولا نمطاً اجتماعياً يفرضه الإسلام على الشعوب التي تعتنقه.

2- كما أن هذا الدين قريب التناول في معتقداته وعباداته بعيد عن التكلف يناسب حياة الرعاة كما يصلح لحياة الملوك، فإذا حان وقت الصلاة توضأ المؤمن فصلى أينما وجبت عليه الصلاة فالراعي يصلي في مرعاه، والعامل في معمله، والمزارع في مزرعته، والتاجر في رحله، والمسافر على راحلته أو سفينته.

3- القـوة الاقتصاديـة والمكانـة التجارية التـي وصلها المسـلمون عالمياً آنذاك والذي انعكس إيجابياً على أوضاع الجاليات التجارية والإسـلامية في البلدان غير الإسـلامية كل هذا شـجع على قبول الإسلام الذي هو دين هؤلاء التجار، يقـول أحـد الغربيين: «وقبول حكام تلك المناطق السـاحلية المحليين للإسـلام لابـد أنـه قد أوحت به إلى حدٍ كبير الـثروة والنجاح التجاري والأعمال الطيبة التـي كان يمثلهـا هـؤلاء التجار»،[1] ومعلوم أن كل زيـادة في ثراء المجتمع مادياً يلازمـه تبـدل وتحـول في عاداتـه الاجتماعية وتقاليـده المرعيـة إلى حدٍ كبير وهـذا مـا فعله الثراء الإسـلامي في المجتمعـات التي حل بها ولكنـه حولها إلى الأفضل والأقوم، إضافة إلى ما قام به التجار المسلمون من خدمات وما قدموه من تسهيلات عامة لتلك المجتمعات التي عاشوا بين ظهرانيها.

4- شـدة تخلـف المجتمعـات التـي ارتادهـا التجـار وتعاملـوا معهـا فأصبحت شعوبها مادة غنية وتربة خصبة للدعوة إلى الله، هذا مع ما كان عليه التاجر المسلم من تقدم حضاري علمي ورقي اجتماعي مع التحلي بالأخلاق الفاضلة والثقافـة الواسـعة ممـا سـهل عليـه مهمـة الدعـوة والتأثـير علـى الآخريـن، فالأفريقـي (الوثني) يرى التاجر (المسـلم) نظيف الثيـاب كثير العبادة دائم الطهـارة، يقـرأ ويكتـب، غنيـاً يبيع سـلعاً نفيسـة ومفيدة، فتطمح نفس ذلك الأفريقي إلى الوصول إلى ما وصل إليه ذلك التاجر المسـلم فيأخذ بالمقومات المتفردة للشخصية الإسلامية المتفردة.

5- الصـراع بـين الفكـرة الإسـلامية والمسـيحية حيـث سـبقت الإسـلام إلى مناطـق عـدة فحـل فيها بعـد أن هـدم كثيراً مـن الوثنيـات هناك وبنـى خلفاً لهـا عقيـدة صالحـة لهـا وكـون وسـط أهلها مجتمعـات إسـلامية بـل إمارات ودولاً تطبـق الإسـلام (شـريعة وعقيدة)، وبعد الضعف العـام الذي طرأ على

(1) هاريسون، (مصدر سابق)، ص78.

المسلمين في العصور الحديثة ومع نمو القوة الاستعمارية الأوروبية في بلاد الإسلام نشطت الحركة التنصيرية بين المسلمين، ولأن هؤلاء المستعمرين جاؤوا مع جيوشهم بنظرة ملؤها الاحتقار للشعوب المسلمة على اعتبار أنها شعوب متخلفة وأنها لا تملك مقومات الحياة العصرية وتبعاً لذلك لابد من انتشالهم من هذا التخلف والرجعية إلى حياة أفضل وأسمى، هذه النظرة الدونية من الغرب المستعمر للمسلمين جعلتهم يلتزمون بدينهم الحق أكثر ويرون فيه طوق للنجاة من الذوبان في الثقافة الوافدة، فقاوموا به الاستعمار بشقية (العسكري والتنصيري). وتحولت الرغبة في مصاولته إلى عامل لانتشار الإسلام حيث تبنى كثير من السكان الأصليين الإسلام ديناً لهم بعد أن عرفوه عن طريق التجار المسلمين، ليخلصهم من المحتل الأوروبي ولأنهم رأوا أن الإسلام أنسب لهم حيث يمكنهم معه المحافظة على موروثاتهم الشعبية وحياتهم الاجتماعية أما الاستعمار فهو غريب لا يملك القدرة على المعايشة بل هو خطر عليهم لأنه سيصيب حياتهم بالتآكل والتلاشي. فاتجهوا إلى الإسلام كخيار وحيد أمام الهجمة الصليبية الشرسة، واتخذوه ديناً قومياً لهم.

المبحث الثالث: مراحل نشر التجار للإسلام

من خلال الاستعراض السابق لجهود التجار المسلمين في نشر الإسلام، وما أسفرت عنه تلك الجهود من نجاحات متواصلة لدخول الإسلام في حياة الناس والتحاقهم بركبه.

وقد مرت هذه الجهود بمراحل عدة:

المرحلة الأولى: يمثل هذه المرحلة التجار الذين ترددوا باستمرار على سواحل الجزر أو المدن الصحراوية وكان غرضهم التجارة بالدرجة الأولى، وكان التاجر في هذه المرحلة أشبه بالزائر لتلك السواحل والمدن، يقيم فيها حتى يقضي حاجته ثم يرحل ثم لا يلبث أن يعود وهكذا، وكان السكان يلاحظون أن هذا التاجر شخص مختلف في سلوكه ومعاملاته، يجذب الأنظار ويشد الأعين ويشد الأذهان إليه، فكان التاجر بذلك خير سفير لأمته ودينه بما تحلى به من خلق رفيع وسلوك قويم.

المرحلة الثانية: في هذه المرحلة توسعت العلاقات التجارية وتوطدت الروابط الاجتماعية، بين أهل البلاد الأصليين والتجار العرب والمسلمين وذلك عن طريق تأسيس الشركات والوكالات والمصاهرة والمخالطة، وقد أغرى هذا كثيراً من التجار بالاستيطان والاستقرار نهائياً في تلك البلاد، ليصبحوا بعد زواجهم من عامة أهلها ،أو مصاهرة حكامها جزءاً منهم وتكونت بذلك سلالات عربية جديدة مازالت إلى اليوم تحتفظ بأصولها وأنسابها العربية كالأشراف الحسنيين والحضارمة العلويين.

المرحلة الثالثة: ظهور التجمعات السكانية للأقليات المسلمة في البلاد غير الإسلامية، والتي كان سبب بنائها هو التطور التجاري والثراء المادي للمسلمين هناك، وشكلت نظراً لهذا المستوى الذي وصلت إليه أنموذجاً

يحتـذى من قبل أهل البلاد المحيطين بهم، حيث تميزت عن تلك المجتمعات الوثنية التي حولها بالتطور العمراني، والتقدم العلمي، والنظام الاجتماعي، والبناء المؤسساتي كالمساجد والمدارس والمشافي.

المرحلـة الرابعـة: بعد انتشـار الدين ونشـره في أوسـاط السـكان برزت على سـطح المجتمع الإسـلامي ذاك طبقة مـن التجار المحليين الذي أسـلموا هم أنفسـهم أو أسـلم آباؤهم قبلهم، وأخذوا على عاتقهم لعب نفس ذلك الدور الذي لعبه التاجر العربي المسـلم في نشـر الإسـلام، حيث لا يغرب عن بالنا أن هؤلاء في دعوتهم يخاطبون بني جلدتهم بلسـانهم ويشـاركونهم عاداتهم وتقاليدهـم وأولئـك المخاطبين لاشـك أن اسـتجابتهم سـتكون أسـرع لأنهم يـرون بني قومهم قد جنوا من دخولهم في الإسـلام الكسـب الوفير أخلاقياً ومادياً، فيدفعهم ذلك إلى أن ينهلوا مما نهل منه إخوانهم.

لقـد أطبـق الإسـلام برحمته على أغلب سـكان جزر آسـيا والمحيط الهندي وسـواحلها وسواحل أفريقيا الشـرقية وغربها كما وصل إلى أقطار وجزر في العـالم الجديد في عصور متأخرة حيث اسـتمرت موجـات التجار تترى دون توقف ومعها يسيح الدين العظيم حيث ساحوا.

المبحث الرابع: عقبات في طريق نشر التجار للإسلام

يجب ألا نغرق في المثاليات التاريخية والأخلاقية التي تصور لنا التجار كدعاة متجردين، أو نتصورهم على أنهم وعاظ ناسكون، ولذا فقد اعترض هذه الوسيلة السلمية الرائدة في نشر الإسلام الكثير من العقبات على مدى تاريخها الدعوي قديماً وحديثاً.

ومن أبرز هذه العقبات ما يلي:

1- يلاحظ المتتبع لحركة الدعوة إلى الإسلام عن طريق التجار أنه على ضخامة نتائجها لم تكن حركة منظمة بالمفهوم المنهجي بل أخذت في مظهرها العام طابع الدعوة بالاجتهادات الفردية من قبل التجار على مر الأجيال والتي تفتقر إلى التنسيق والتخطيط لوسائلها وأهدافها ولعل هذا عائد إلى أن التجار يمارسون في نشاطهم التجاري لوناً من ألوان الدعوة العفوية الصامتة كنشاط يومي عادي ولذا فدعوتهم لا تحتاج إلى تخطيط بالمفهوم العصري للدعوة، وهذا يعني أن المقومات الشخصية للتاجر المسلم هي التي تلعب دوراً حاسماً في مدى نجاح دعوته وما تحققه من مكاسب.

2- بالوسائل السلمية للدعوة -والتي منها التجارة وغيرها مثل الهجرات البشرية والدعوة- انتقلت من المواطن القديمة إلى المواطن الجديدة بعض مظاهر الخلاف السياسي والخلافات المذهبية بل والعرقية، ومن عجب أن هذه الخلافات والصراعات هي ذات العوامل التي كانت وراء نزوح هؤلاء وإخراجهم من ديارهم بحثاً عن مكان آمن، لكنهم لم يستطيعوا التخلص من تلك المشاكل السياسية والدينية ونقلوها معهم حيثما حلوا.

3- كان وراء نشر التجار المسلمين للإسلام مركز مالي مهم نالوه باتساع تجارتهم ومهارتهم في البلاد التي كانوا يصلون إليها ويبنون مراكز تجارية

وعمرانية ساحلية وداخلية فيها، وهذا لا شك أفرز ردة فعل ناقمة عند طائفة من علية القوم من السكان الأصليين حسداً من عند أنفسهم لأنهم من سدنة المعتقد البائد فقاوموا ذلك النفوذ الاقتصادي للإسلام لأنه سيقضي على نفوذهم ومكاسبهم المادية ووجاهتهم الاجتماعية وذلك بما يحمله من مؤثرات وتأثيرات فكرية عقدية طغت على كل ما كان سائداً من الموروث الجاهلي القديم.

4- نعلم جميعاً أن الداعية ليس بالضرورة أن يكون عالماً ليمارس الدعوة إلى الله وإنما يكفيه أن يتسلح بالعلم القليل والعمل الكثير، ومن باب أولى أن يكون هذا شأن التاجر فلم يكن التجار دعاة متفرغين ولم يكونوا من العلماء الفقهاء إلا ما ندر، وكذلك فالتاجر كان كثير الترحل قليل الاستقرار فهو يلقي البذرة فيما بعد، ثم يمضي ويتركها، لكن رعاية الداعية لهذه البذرة تخرجها كنبتة صالحة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، كما أن تتابع الرحلات التجارية وكثافة توافد التجار الذي لا ينقطع يساهم كذلك في نشر الدين والوعي بين الناس.

5- رغم ضخامة المؤثرات الإسلامية التي وصلت إلى أوروبا، ووجود الوسائط المتعددة والنشيطة بين العالم الإسلامي وأوروبا، والتي كانت التجارة أهمها، إلا أن الدين ينظر إليه على أنه الأقل من بينها، في العصور الوسطى، إذا ما استثنينا إسبانيا وجنوب فرنسا، الذي فتحه المسلمون وأصبح قطعة من العالم الإسلامي. ونستطيع أن نعرف السبب إذا قارنا بين دخول الإسلام في (أفريقيا) بقوة واندفاع، وبين تواجده كدين في وسط وغرب (أوروبا)، فسنجد أن الإسلام في أفريقيا جاء إليها وهي على الوثنية فكان من اليسير تحولها لدين الإسلام، أما أوروبا فقد دانت بالمسيحية قبل الإسلام بقرون فكوّن هذا ممانعة عقائدية صلبة وشرسة ضد أي تغلغل عقدي آخر، وكانت جهود البابوية تضرم نار العداء ضد الإسلام كلما خبت، وبقي الإسلام

كدين بعيداً عن حياة الأوروبيين الغربيين، مع أن التجارة الإسلامية -كما ذكرنا آنفاً- شكلت وسيطاً حضارياً فاعلاً بينهم وبين أقصى جنوب شرق آسيا والصين.

6- ومن العقبات المعاصرة التي وقفت في طريق تقدم الإسلام تجارياً حالة الضعف الشامل التي أصابت العالم الإسلامي في مختلف الميادين ومنها الميدان الاقتصادي والتي مال فيها الميزان التجاري لصالح العالم الغربي والشرقي وبقي المسلمون بين ذلك متأرجحين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وهذا الوضع أضعف من تأثير المسلمين الفكري والعقدي على مستوى العالم بعكس ما كان الحال عليه عندما كانت القوة الاقتصادية الإسلامية ضاربة جذورها في القرون الوسطى الأمر الذي مكّن المسلمين من لعب دور حضاري ريادي في الدعوة إلى الله عن طريق التجارة في قارات العالم القديم.

7- ساهم الاستعمار الأوروبي في العصر الحديث عندما سيطر بقوة السلاح على مقدرات الشعوب والمواطن الإسلامية، ساهم في إيقاف المد الإسلامي عن طريق التجارة أو إضعافه (في أحسن الأحوال) عن تقدمه وذلك لسببين:

- رغبة الاستعمار في ربط خيوط التجارة العالمية والإقليمية في يده وانتزاعها من أيدي روادها المسلمين، وهذا بحد ذاته أضعف التجارة الإسلامية جداً مما أضعف تأثيرها تبعاً لذلك.

- رغبة المستعمرين في إفساح المجال للمنصّرين والتضييق من أجل ذلك على التجارة الإسلامية التي هي وسيلة من وسائل انتشار الإسلام والدعوة إليه.

ولهذا وذاك ولَّد التعنت الاستعماري لدى الشعوب المقهورة مقاومة عنيفة رافضة لأي تبعية سياسية أو ولاء فكري لأوروبا جاعلة الإسلام هو دينها القومي ومرجعها العقديّ.

الفصل الثالث

المبحث الأول: التجار (الدعاة الصامتون)

لم يكـن التجـار من العلماء أو الدعاة المنقطعـين للعلم والدعوة إلا ما ندر منهم، ولكنهم كانوا مسـلمين تمسـكوا بدينهم فوقر عقيدةً في قلوبهم، وامتثلوه سـلوكاً في حياتهـم، فجذبـوا الأنظـار وملكـوا العقـول بأخلاقهـم وسـمتهم وتعاملاتهم التجاريـة النظيفـة، ولا نبالـغ إذا قلنـا إن بعض التجـار ربما لم يكـن يحمل همّ الدعوة أو يخطط لنشـرها، ولكن الأثر العرضي الذي أحدثه سـلوكهم المستقيم علـى المسـتوى الشـخصي والتجاري فيمـن يتعاملـون معهم أنتـج محصلة هائلة من الاسـتجابات الناجحة لصالح هذا الدين حيث شـكلت في مجموعها ظاهرة تاريخيـة ملفتـة لـكل من لـه عينان أو ألقى السـمع وهو شـهيد، ولذا فـإن التجار المسلمين مارسوا نوعاً من الدعوة الصامتة وفق أساليب عدة منها:

1- مخالطة الناس في الأسـواق والموانئ التجارية وفي مسـارات القوافل ولجاج البحار، والتي يتم من خلالها تمرير الكثير من المؤثرات الناجحة بالكلمة الطيبة والموعظـة الحسـنة والخلـق والسـلوك الرفيـع، وقـد ورد عند بعض الجغرافيين المسلمين في وصفهم لبعض أهل الجزر والمراكز التجارية بأنهم يجالسون التجار ويداخلونهم فلا غرابة أن يكون هذا من وسائل التجار في الدعوة.

2- ممارسـة التاجـر للدعـوة الموجهـة في بعض الحـالات، وأقصد بهـا الموعظة المباشـرة والدخـول في حـوارات ومناظـرات لبيـان الحـق للمخاطبـين، وقيامـه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان محاسن الدين الإسلامي.

3- تخلـق التاجـر المسـلم بالأخـلاق الفاضلـة التي تجعـل منه قـدوة صالحة لمن حولـه، فهـو لا يكذب ولا يغش ولا يغـدر ويقضي الدين وينظر المعسـر، ولا يحلف كاذبـاً لينفق سـلعته، ولا يصخب في الأسـواق، ويغض طرفـه ويحصن فرجه ولا يشـاجر ولا ينـاجش ولا يفجر في الخصومة، بعيد عن الفاحش من القول والعمل مـع مـا يعايشـه من الغربـة والبعد عن الأهـل والولد، وهـو في ذات الوقت نظيف

الملبس حسن المظهر مقيم لصلاته حين وقتها ويصليها في حله أو رحله، دقيق في وقته محافظ عليه، يجيد القراءة والكتابة وفوق ذلك فهو سمح في بيعه وشرائه، كل هذه الصفات حببت الناس في التاجر المسلم ودفعتهم إلى التعامل معه والتخلق بأخلاقه والالتزام بدينه.

4- التزام التاجر المسلم بالمعاملات التجارية الشرعية، فلا يغش، ولا يخون، ولا يتعامل بالربا، ولا يدلس، ولا يسرق، ويتجنب البيوع المحرمة، والبضائع المحرمة، ويبتعد عن الاستغلال المادي الرخيص لعملائه من التجار أو غيرهم من الأهالي، حتى ولو كان التمسك بهذه الأخلاق يضاد مصلحته المالية الآنية، كأن ينظر المعسر، ويتسامح مع الفقير، ويساعد المحتاج، وهذا الوفاء للمبدأ على هذه الصورة عادة ما يدفع الآخرين إلى الفضول لمعرفة السر وراء تميز ذلك التاجر المسلم عن غيره من التجار الأجانب وقناعتهم أن لديه ما يستحق الاهتمام به من فكر وعقيدة مما يهيئ فرصة ذهبية لإشباع نهم السائلين عن هذا الدين فيكون هذا سبباً في دخولهم إلى الإسلام.

5- ويمكن لنا إيجاد علاقة طريفة بين أسلوب التاجر المسلم في عرضه لسلعته وفي عرضه لعقيدته، فهو كما يظهر محاسن سلعته ليرغب الناس للإقبال عليها فهو أيضاً يعرض عقيدته بأسلوب يدفع الناس لاعتناقها، وكما أن مواصفات السلعة هي التي تتحكم في قيمتها ارتفاعاً وانخفاضاً لدى المشتري فكذلك عقيدة التاجر المسلم وفكره يقبل عليهما من رأى في خصائصهما ومميزاتهما الراقية خلاصاً لنفسه وأمته في الدنيا والآخرة.

6- كان تأسيس تجمعات سكانية للجاليات الإسلامية التجارية في البلاد غير الإسلامية التي لها علاقات تجارية متينة مع المسلمين؛ وسيلة ناجحة من وسائل دعوة التجار لهذا الدين، فهذه التجمعات التي قامت في آسيا (الصين مثلاً) أو في أوروبا (بلغاريا مثلاً) مكنت السكان الأصليين من غير المسلمين

مـن الاقتراب أكثر من الإسـلام ورؤيتـه ماثلاً أمام أعينهم في سـلوك المجموعة المسـلمة المسـتوطنة بجوارهـم، والتي حققـت درجة عظيمة مـن التنظيم المدني والعلاقـات الاجتماعية والإدارة السياسـية والثراء المـادي، وأبدعت في العمران والفنون وأقامت المؤسسـات التعليمية والصحية وغيرها، فهذه البيئة التي تضم التجمع الإسلامي الراقي وسط مجتمع مغاير عقائدياً وأخلاقياً وفرت أنموذجاً صالحاً للإسلام وأهله ومثّلهم خير تمثيل كنموذج عملي يغري الآخرين بالسير على منواله.

7- عـادة مـا يصنـف التجـار علـى أنهـم طبقـة راقيـة في المجتمـع بعـد الحكام والعلماء، وذلك لما في أيديهم من أسـباب الغنى والثراء، ولكنهم في نفس الوقت أقـرب إلى العامـة ممـن فوقهم من الساسـة، فالتجار المسـلمون اسـتثمروا هذه المكانة الاجتماعية الوسطية لاقتحام حياة الناس وتجاذب المصالح الاقتصادية معهـم في الـبر والبحـر، فكونـوا مناخاً اجتماعيـاً مناسـباً لبناء علاقـات وثيقة بينهـم وبـين جميـع طبقـات المجتمـع، ومـن خلال هـذا الـدور تمكـن التجار من نشـر مؤثرات واسـعة النطاق وجذبوا من لهم علاقة بهم إلى حظيرة الإسـلام، وممـا أثمرتـه هذه الجهود إسـلام كثير من الحكام والزعمـاء، أما العامة فكان تغلغل الدين بينهم أسـرع وأشـمل مما سـاعد التجار المسـلمين على تحقيق هذا الإنجاز في أوسـاط المجتمعات غير الإسـلامية والتـي أوجبت عليهم مصالحهم المادية الاختلاط بهم، وعاشوا بينهم طرفاً محايداً حيال الترسبات الاجتماعية والتقلبات السياسـية التي كانت تعج بها تلك المجتمعات، فلم يكن التاجر المسـلم ينتهج التفريق العنصري على أسـاس اللون أو العرق أو لغرض سياسـي أو لثراء مـادي، بـل كان يخالـط الجميـع من منطلـق قـول الله تعـالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكـم)،[1] وقوله صـلى الله عليه وسـلم: «لا فضل لعربـي على أعجمي، ولا لأعجمـي علـى عربـي ولا لأحمر على أسـود ولا لأسـود على أحمـر إلا بالتقوى...

(1) الحجرات: آية 13.

الحديث»،[1] إن حيادية التاجر المسلم جعلته طرفاً مقبولاً لدى الأوساط الاجتماعية المتباينة وكذلك الأوساط السياسية المختلفة، مما أعطاه القدرة على إحداث الأثر المطلوب لصالح نشر الإسلام في تلك الأوساط.

8- يصح اعتبار القوافل والسفن التجارية والتي تحمل السلع الكثيرة ويرافقها العشرات أو المئات من التجار والمسافرين والخدم والعمال والحرس وجملة من الدعاة وسيلة للدعوة وفرصة للتأثير، فهذه القوافل تقطع في غضون أشهر متوالية آلاف الأميال وتجتاز الأودية والأنهار والصحاري والغابات وتسير وسط شعوب وقبائل عدة تختلط معهم وتتبادل وإياهم السلع والبضائع المتنوعة وفي وسط هذه التبادلات والتعاملات تسري المؤثرات ويقع التأثير فالقافلة المسلمة كثيرة العدد ثرية الموارد والبضائع، إذا دخلت إحدى مدن الصحراء أحدثت دوياً في الوجدان قبل الآذان فتنجذب الأنظار إليها والأفئدة، وقد تثور في أذهان السكان المحليين بعض الأسئلة من قبيل: من هم أصحاب هذه القافلة؟ وما دينهم؟ وما فكرهم؟ وإلى أي أمة ينتسبون؟ عندها يستثمر التاجر المسلم هذه التهيئة النفسية ليكسب أتباعاً جدداً لهذا الدين خصوصاً إذا عرفنا أن هذا المشهد يتكرر لدى السكان الأصليين مراراً في حياتهم اليومية مما يحدث الأثر المطلوب ويختصر المسافات الزمنية والنفسية على الراغب في الدعوة إلى الله، ولا يغيب عنا كذلك أن من مجالات الدعوة إلى الله هو ذلك العدد الضخم من مرافقي القوافل البرية أو السفن البحرية من الخدم والعبيد غير المسلمين فمع طول المسافات وتعدد الأسفار وكثرة الاختلاط تسنح فرص مواتية لمحادثتهم ودعوتهم من خلال القدوة الصالحة فيما يرونه من سلوك مستقيم ومعاملة طيبة من أسيادهم التجار.

9- ومن أبرز الوسائل التي أثمرت نتائج مهمة لصالح الدعوة إلى الإسلام، هي مصاهرة التجار المسلمين لأهل البلاد الذين يتعاملون معهم تجارياً،

(1) رواه أحمد في مسنده، تحت رقم (23105).

فنظـراً لابتعاد التجار لمسـافات بعيـدة ولأزمنة طويلة عن أهليهـم أو رغبتهم في الاستيطان الدائم فإنهم يلجؤون إلى الزواج من أهل البلاد التي يتاجرون معهم فيتـزوج ذلك التاجر قريبة تاجر مثله، أو قريبة حاكم من حكام الأقاليم بهدف توثيـق العلاقـات التجارية فإذا كانت الزوجة وثنية أسـلمت قبل الزواج كشـرط لصحتـه وإن كانت كتابية سـعى الزوج (التاجر) إلى إدخالها في دين الإسـلام، ومن أسـباب رواج المصاهرة بين التجار العرب والسـكان الأصليين حرص هؤلاء السكان المسلمين على الاختلاط بالجنس العربي الذي يرونه شريفاً لكون النبي صـلى الله عليه وسلم من العرب، ويمكن لنا أن نلحق بالمصاهرة ما يحدث من اتخاذ التجار للجواري المسـترقات واللاتي غالباً ما يسـلمن بعد الرق أو الزواج حتـى شـكل هذا التقليـد لدى التجار ظاهـرة اجتماعية أنجبت جيـلاً كاملاً من أبناء التجار المسـلمين من أمهات اعتقهن أولادهن، ونسـتطيع تلمس بعض نتائج هذه المصاهرات مثل:

- ظهـر في التاريـخ الإسـلامي أجيـال مـن المسـلمين في أصقاع شـتى مـن العالم القـديم آباؤهـم مـن التجـار العـرب وأمهاتهـم مـن السـكان الأصليين في آسـيا وأفريقيا من عامة النـاس أو من سـراتهم، ولا تزال كثير من السـلالات العربية التي نمت من هذه المصاهرات تحتفظ بأصولها العربية في أندونيسـيا وماليزيا والهند وغرب أفريقيا وشرقها وجزر المحيط الهندي.

- نظراً لحرص التجار على مصاهرة عِلية القوم من الحكام والأمراء لما في هذا من مصلحة ظاهرة لتجاراتهم وروابطهم الاقتصادية، ظهر أبناءٌ للتجار العرب هـم أسـباط للحكام، وكثـيراً ما يتولى هذا السـبط ابن العربي مـكان جده لأمه في الملـك أو الإمـارة فتزيـد الروابط فوق ما هي عليه مع التجار العرب المسـلمين ويسـعى هذا الحاكم المسـلم ذو الأصول العربية إلى تطبيق الإسـلام ونشر اللغة العربيـة كمـا تعلمها مـن والده التاجر العربي المسـلم وقد حفظ لنـا التاريخ إلى اليوم سلالات حكام أصولهم عربية كما في ماليزيا (مثلاً).

المبحث الثاني: الخدمات التي قدمها التجار لنشر الإسلام

لقد كان أفق المؤثرات التي أحدثها النشاط التجاري الإسلامي لصالح نشر الدين، أوسع وأعمق على الصعيد العملي في أوساط المدعوين من الوسائل الأخرى التي انتشر بها الإسلام، وذلك لما قدمه التجار من خدمات جليلة وتسهيلات موفقة لصالح أتباع هذا الدين العظيم ولتوعية الناس به ونشره، ومن هذه الخدمات والتسهيلات:

1- لقد كان كلٌ من الداعية والتاجر في تاريخنا الدعوي كفرسي رهان في سبيل خدمة هذا الدين وإدخال الناس فيه سلمياً، فالتاجر المسلم عضد للداعية له جملة من الخدمات -في ظني أن الداعية لم يكن ليستغني عنها- منها أن فتح التاجر للداعية مسالك التجارة ليرافق قوافله التجارية وسفنهم البحرية ليصل إلى مناطق لم يكن ليبلغها الداعية إلا بشق الأنفس، كما أن الدعاة احتاجوا كثيراً إلى ثروة التجار لتمويل مشاريعهم الدعوية وتحمل نفقات سفرهم للدعوة أو لطلب العلم وإعاشتهم، ونشر كتب العلم وتأسيس الكتاتيب في القرى والمدن التي تنشط فيها الدعوة.

2- تمويل إقامة بيوت الله في البلاد ذات الأقليات الإسلامية ولا تزال هناك مساجد أسسها تجار مسلمون وعرب في جزر آسيا ومجاهل أفريقيا، وتشجيع حلق العلم بتلك المساجد وإنشاء كتاتيب ملحقة بها أيضاً على نفقة التجار الذين عادة ما يفتتحون تلك الكتاتيب لتعليم أبنائهم فيستفيد منها أبناء الأهالي.

3- تحمل التجار نفقة الحجاج من أبناء البلاد الإسلامية الذين لا يستطيعون النفقة، والقيام بما يلزمهم من إعاشة ونقل ونفقة، من آسيا

وأفريقيا، فيعود هؤلاء سواءً من العامة أو من طلبة العلم أو من الزعماء من الحج وهم أكثر معرفة بدينهم وتعلقاً به وأقدر على إشاعة التصور الصحيح لمفهوم الدين بين بني جلدتهم، وممارسة الدعوة فيما بينهم لتصحيح عقائدهم وتعديل سلوكهم ليتماشى مع متطلبات الدين الإسلامي، كما أن هذه القوافل التجارية التي يصاحبها الحجاج إلى مكة المكرمة من آسيا أو أفريقيا تطأ بلاداً واسعة وأمماً كثيرة فيختلط مرافقو القافلة بهؤلاء ويقتبسون منهم الإسلام وتعاليمه السمحة وأخلاقه الفاضلة، فيعود هذا الذي أسلم (قديماً) وحج (حديثاً) وهو فخور بأنه ينتمي إلى أمة عظيمة هي أمة الإسلام.

4- إيقاف التجار للأوقاف العامة والخاصة في مختلف الأغراض على طلبة العلم والدعاة والأيتام وراغبي الزواج والفقراء والمساكين وأبناء السبيل، وقد لاحظ الهولنديون ذلك أثناء استعمارهم لأندونيسيا وعللوا ذلك بأنه مقابل سماح أهل البلاد من الوثنيين للتاجر المسلم بممارسة التجارة في بلادهم،[1] وشملت نفقاتهم كذلك بناء المساكن وحفر الآبار، وتشغيل أبناء البلاد التي يتاجرون معها في تجارتهم ومرافقة قوافلهم وتجنيدهم لحراسة تلك القوافل وملاحة السفن البحرية التجارية.

5- ومن الخدمات التي قدمها التجار وكانت مجالاً للاحتكاك بين الناس ووسيلة لانتشار الإسلام، ما يطلق عليه الخانات ومفردها (خان) وهو (النُزل) والتي بناها التجار على الطرق التجارية وينزل به التجار أنفسهم والمسافرون والحجاج وغيرهم من مستخدمي الطرق البرية، ولا تزال آثارها باقية إلى الآن في أواسط آسيا، ومنها ما تتسع أحواشها لمئات الدواب، وبها

(1) حسين مؤنس، الإسلام الفاتح، (مصدر سابق)، ص47.

غـرف علوية للسـكن وبئر ماء ومسـجد للصـلاة،[1] وفي هـذه الخانات يلتقي المسـلم بغـيره مـن مسـتخدمي الطريـق فيحـدث بينهـم تجـاذب لأطـراف الحديـث في مختلـف الأغراض فيجد فيها التاجر المسـلم فرصة مواتية لبث الدعايـة لأفـكاره والدعوة لدينه، فيتعرف الآخرون على مميزات هذا الدين في الوقت الذي يرون أثره السلوكي والتعبدي على ذلك التاجر المسلم، فهذا المسـتمع وإن لم يؤمـن بالإسـلام في حينـه فلا شـك أنه سـيحمل علـى الأقل صورة حسنة له في ذهنه تكون كالبذرة التي سرعان ما يخرج أكلها طيباً بعد حين. ومن حرص التجار المسلمين على الاحتكاك بالآخرين وتبادل الخبرات أنه إذا أعوزتهم اللغة وأصبحت حاجزاً عن التفاهم استبدلوا بها لغة خاصة تقوم على الإشارة واللمس بالأيدي.[2]

---

(1) نقولا زيادة، إيقاع على أوتار الزمن، كتاب العربي (47)، الطبعة الأولى، يناير 2002م، ص170.

(2) الفيل (مصدر سابق)، (3 / 449)، وتجدها مفصلة عند شوقي عثمان (مصدر سابق)، ص252.

المبحث الثالث: سير التجار المسلمين

أولاً: نماذج من العلماء التجار منذ القرن الأول حتى القرن الثامن الهجري

- عثمان بن عفان الخليفة الراشد رضي الله عنه

كان من أغنى الصحابة من قريش، وله مواقف مشهودة في دعم الجهاد النبوي ضد الكفار في غزوة تبوك والتصدق بكثير من الأموال والعقارات ووقف الأوقاف التي مازالت سارية إلى اليوم. وشهرة أخباره تغني عن بسطها في هذا الموضع، ويكفينا ثناء النبي صلى الله عليه وسلم عليه عندما تصدق بتمويل جيش العسرة المتوجه لتبوك فقال: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ مَرَّتَيْنِ»،[1] وكذلك أوجب النبي صلى الله عليه وسلم له الجنة عندما اشترى بئر رومة من يهودي وأوقفها لعامة المسلمين.

- عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه (صحابي جليل)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين (أحد الأنصار) الذي قال: إن لي حائطين فاختر أيهما شئت قال بل دلني على السوق إلى أن قال فكثر ماله حتى قدمت له سبع مئة راحلة تحمل البر والدقيق والطعام فلما دخلت سمع لأهل المدينة رجة فجعلها في سبيل الله، وعن الزهري قال تصدق ابن عوف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف ثم تصدق بأربعين ألف دينار وحمل على خمس مئة فرس في سبيل الله ثم حمل على خمس مئة راحلة في سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة وقيل عنه كان أهل المدينة عيالاً على عبدالرحمن بن عوف ثلث

(1) سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، حديث 3701، وحسنه الألباني.

يقرضهم ماله وثلث يقضي دينهم ويصل ثلثاً، وكان قد أوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله فكان الرجل يعطى منها ألف دينار، وعن الزهري أن عبدالرحمن أوصى للبدريين فوجدوا مئة فأعطى كل واحد منهم أربع مئة دينار، وبإسناد آخر عن الزهري أن عبدالرحمن أوصى بألف فرس في سبيل الله، وعن أنس بن مالك قال رأيت عبدالرحمن بن عوف قسم لكل امرأة من نسائه بعد موته مئة ألف. وكانت وفاته في سنة اثنتين وثلاثين وقد عاش خمساً وسبعين سنة قال أبو عمر بن عبدالبر: كان مجدوداً في التجارة خلف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومئة فرس وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً، وقال غيره إن عبدالرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف بيت.[1]

- عبدالله بن المبارك (تابعي زاهد)

أبو عبدالرحمن الحنظلي مولاهم التركي ثم المروزي الحافظ الغازي أحد الأعلام وكانت أمه خوارزمية مولده في سنة ثمان عشرة ومئة فطلب العلم وهو ابن عشرين سنة فأقدم شيخ لقيه هو الربيع بن أنس الخراساني تحيل ودخل إليه إلى السجن فسمع منه نحواً من أربعين حديثاً ثم ارتحل في سنة إحدى وأربعين ومئة وأخذ عن بقايا التابعين وأكثر من الترحال والتطواف إلى أن مات في طلب العلم وفي الغزو وفي التجارة والإنفاق على الإخوان في الله وتجهيزهم معه الى الحج، قال أحمد العجلي: ابن المبارك ثقة ثبت في الحديث رجل صالح يقول الشعر وكان جامعاً للعلم. قال العباس بن مصعب: جمع عبدالله الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء والتجارة والمحبة عند الفرق، قال أبو العباس السراج: سمعت إبراهيم بن بشار يقول: حدثني علي بن الفضيل سمعت أبي يقول لابن المبارك أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة ونراك تأتي بالبضائع كيف ذا؟ قال يا أبا علي

(1) سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج 1، ص76،81، 88،91.

إنما أفعل ذا لأصون وجهي وأكرم عرضي وأستعين به على طاعة ربي، قال يا ابن المبارك ما أحسن ذا إن تم ذا، وقد عوتب ابن المبارك فيما يفرق من المال في البلدان دون بلده قال: إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق طلبوا الحديث فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم فإن تركناهم ضاع علمهم وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم.[1]

- أبو عبدالرحمن الحبلي المعافري (تابعي)

من تجار التابعين المحدثين بث العلم، وبنى جامع الرباط بالمغرب، وكان يدرس به كثير من طلبة العلم الأفارقة.

- إسماعيل بن عبيد الأنصاري (تابعي)

من تجار التابعين، يسمى بتاجر الله، تنازل عن ثلث ماله وجعله وقفاً للمنافع العامة، وبنى جامع الزيتونة، وسوقاً بالقيروان، وتوفي مجاهداً في صقلية.

- محمد بن موسى بن بشير

ابن جناد بن لقيط الكناني الرازي، والد أبي بكر محمد صاحب التاريخ، غلب عليه اسم بلده وكان يفد من المشرق على ملوك بني مروان في الأندلس تاجراً وكان مع ذلك متفنناً في العلوم وهلك منصرفه من الوفادة على الأمير المنذر بن محمد في إلبيرة الأندلسية سنة (273هـ).[2]

- محمد بن إبراهيم بن مطرف

ابن محمد بن علي أبو أحمد الأستراباذي كان من رؤساء أستراباذ وكان المنظور إليه من بين أهلها وكان تاجراً ثقة أميناً معروفاً بالخير والبذل في

(1) المصدر السابق، ج: 8 ص379، 383، 387.

(2) نفح الطيب، مصدر سابق، ج: 3 ص120.

ذات الله عز وجل كتب الحديث وحدث ويقال إنه كتب عن أبي سعيد الأشج وتوفي سنة (300هـ).[1]

- علي بن بندار البغدادي البرمكي

وهو من الوافدين على الأندلس من أهل المشرق من أهل بغداد قدم الأندلس تاجراً سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وكان قد أخذ الفقه وسمعه وما تم له من أحكام القرآن.[2]

- أبو جعفر محمد بن محمد بن عبدالله بن حمزة بن جميل

الشيخ المسند الثقة محدث سمرقند البغدادي المشهور بالجمال، استوطن سمرقند وروى بها الكثير عن ابن أبي الدنيا وأحمد النرسي وجعفر بن محمد وعبدالكريم بن الهيثم وطبقتهم ببلده، ثم ارتحل وكان يسافر في التجارة فسمع من أبي زرعة النصري وغيره بدمشق ومن أبي علاثة محمد بن عمرو ويحيى بن عثمان بن صالح وخير بن عرفة بمصر ومن عبيد الكشوري والدبري باليمن وحصل الأصول، توفي بسمرقند عام (346هـ).[3]

- دعلج بن أحمد بن دعلج بن عبدالرحمن

المحدث الحجة الفقيه الإمام أبو محمد السجستاني ثم البغدادي التاجر ذو الأموال العظيمة ولد سنة (259هـ) أو قبلها بقليل وسمع بعد عام (280هـ) ما لا يوصف كثرة بالحرمين والعراق وخراسان والنواحي حال جولانه في التجارة، حفظ القرآن وطلب الحديث وكان يبيع الأقمشة فقدم إليه تاجر من البحر وأعطاه ماله على هيئة مضاربة فكون ثروته من هذا، فبنى المساجد

---

(1) المنتظم (من 257هـ)، لابن الجوزي، ج: 6 ص119، 120.

(2) نفح الطيب، مصدر سابق، ج: 3، ص75.

(3) سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج: 15، ص547.

والأوقاف، وقيل عنه لم يكن أيسر منه من التجار، توفي عام (351هـ).[1]

– ابن الأحمر أبو محمد بن معاوية

من أهل قرطبة رحل إلى المشرق عام (295هـ) وسمع من علماء مصر ومكة والكوفة ودخل الهند تاجراً وعاد إلى الأندلس (325هـ) ومات عام (358هـ).[2]

– أبو القاسم مسعود بن خيران

من أهل قرطبة كان تاجراً سمع العلم في مصر والشام وغيرها توفي سنة (371هـ).[3]

– أبو القاسم مسعود بن علي بن مروان

أندلسي رحل حاجاً وتاجراً وسمع بمصر.[4]

– أبو عمر أحمد بن خالد بن عبدالله الجذامي

من أهل قرطبة اشتغل بالتجارة تلقى العلم في العراق والشام ومكة ومصر، وجلب إلى الأندلس كتب العلم والرواية توفي سنة (378هـ).[5]

– أبو القاسم إسحاق بن غالب العصفري

من أهل قرطبة اشتغل بالتجارة مع المشرق دخل القيروان ومصر وعدن، توفي سنة (389هـ).[6]

– أبو جعفر زكريا بن بكر الغساني ابن الأشج

(1) المصدر السابق، ج 16، ص30.
(2) محمد عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، 1980م، ج2، ص164.
(3) المصدر السابق، ص164
(4) المصدر السابق، ص164
(5) المصدر السابق، ص163
(6) المصدر السابق، ص164

من أهل تاهرت بالشمال الأفريقي اشتغل بالتجارة رحل إلى الأندلس ومصر ثم قرطبة ليحدث بها عن البخاري توفي سنة (393هـ).[1]

- أبو الطاهر إسماعيل بن الإسكندراني

لقي ببلده أبا طاهر السلفي وسمع منه ودرس عليه كتاب الاصطلاح للسمعاني وقدم الأندلس ودخل مرسية تاجراً وكان فقيهاً على مذهب الشافعي، عاش مائة عام، وتوفي سنة (400هـ).[2]

- أبو علي خلف بن محمد بن علي بن حمدون الواسطي

الإمام الحافظ الناقد سمع أبا بكر القطيعي وطبقته ببغداد وبواسط وبالشام ومصر وخراسان وعراق العجم وكان رفيق أبي الفتح بن أبي الفوارس في الرحلة إلى أكثر النواحي، صنف كتاب أطراف الصحيحين وسافر كثيراً في التجارة، وأقام بالرملة يتجر، وكانت وفاته أول القرن الخامس الهجري.[3]

- عبدالرحمن بن عبدالله بن خالد بن مسافر

الشيخ الثقة الجليل أبو القاسم الوهراني الهمذاني، مولده في سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة وسافر في التجارة إلى أقصى خراسان وعني بالرواية، رحل في طلب العلم إلى مصر وبغداد والقيروان ومرو وبلخ، كان خيراً صالحاً متقبضاً يتكسب بالتجارة، حدث بصحيح البخاري، ومات عام (411هـ).[4]

- أبو مسعود البجلي

الإمام الحافظ المحدث المسند بقية المشايخ أبو مسعود أحمد بن محمد

---

(1) المصدر السابق، ص164

(2) نفح الطيب، مصدر سابق، ج 3، ص156.

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج 17، ص260.

(4) المصدر السابق، ج 17، ص332.

بن عبدالله بن عبدالعزيز بن شـاذان البجلي الرازي ثم النيسـابوري مولده سـنة (362هـ) وبكر به أبوه المحدث الزاهد محمد بن عبدالله فأسـمعه من أبـي سـعيد بن عبدالوهاب الـرازي وغيره، وطلب هذا الشـأن وبرز فيه على الأقـران وروى أيضـاً عنه خلق، وكان يسـافر في التجارة كثيراً، كثير الأصول عارفـاً بالحديـث جيـد الفهـم، وثقه جماعـة، وروى عنه جماعـة، اتفق موته ببخارى في المحرم سنة (449هـ)، قال يحيى بن مندة: كان ثقة تاجراً كثير الكتب عارفاً بالحديث.[1]

- أبو منصور بكر بن محمد بن علي بن محمد بن حيدر النيسابوري

الأجل المسـند المعروف بالشيخ المؤتمن التاجر حدث بهمذان وببغداد وتنقل في التجارة وأثنى عليه طائفة من العلماء، مات في صفر سنة (464هـ).[2]

- عبدالجبار بن عبدالله بن ابراهيم بن محمد بن برزة الأردستاني

الجوهـري الواعـظ ولـد عـام (378هــ) سـافر كثيراً وسـمع بالبـلاد وكان تاجراً، وتوفي بأصبهان عام (468هـ).[3]

- أبو عمرو بن مندة

الشـيخ المحـدث الثقة المسـند الكبير أبـو عمرو عبدالوهاب بـن الحافظ أبي عبـدالله بـن مندة العبـدي الأصبهاني، سـمع أباه فأكثر وغـيره، طلب العلم بأصبهان وبنيسـابور وسـمع بشـيراز وهمذان ومكة والري، وكان يسـافر في التجـارة ولـه فوائـد في عـدة أجزاء مرويـة حدث عنـه جماعـة، وكان طويل الـروح علـى طلبـة العلـم، حسـن الخلق محسـناً متواضعـاً، كان يقـال له أبو

(1) المصدر السابق، ج 18، ص62، 63.
(2) المصدر السابق، ج 18، ص252.
(3) الجوزي، المنتظم (من 257هـ) ج 8، ص299.

الأرامل رحيماً بالفقراء ولد سنة (388هـ)، ومات سنة (475هـ).[1]

- أبو العلاء عبيد بن محمد القشيري

التاجر الأمين سمع من طائفة، وسافر إلى المغرب في التجارة وأقام هناك مدة وحصل أموالاً ثم عاد إلى نيسابور وشاخ ولزم داره وكان قليل المخالطة وكان مولده سنة (417هـ) وصفه عبدالغافر بن إسماعيل في تاريخه بالصدق والعدالة والعبادة وصحة السماع والإنفاق على الفقراء تصدق في آخر عمره بشيء كثير وثقل سمعه روى عنه أبو سعد السمعاني حضوراً بقراءة أبيه، قال ابن النجار مات في ثامن عشر شعبان سنة (512هـ).[2]

- ابن المختار أبو تمام أحمد

ابن الشيخ أبي العز محمد بن المختار الشيخ الجليل مسند وقته ابن محمد بن عبدالواحد بن المؤيد بالله العباسي البغدادي التاجر الجوال ويعرف بابن الخص ولد في حدود سنة خمسين وأربع مئة، وسمع بخراسان، توفي بنيسابور بعد أن أكثر من التجارة بالبحار والهند والترك في خامس ذي القعدة سنة (543هـ).[3]

- الشيخ أبو المعالي الفضل بن سهل بن بشر

الإسفراييني الدمشقي ويلقب بالأثير الحلبي، ولد بمصر ونشأ ببيت المقدس وسافر في التجارة إلى خراسان وغيرها ووعظ مدة بحلب، سمع أباه وأبا القاسم بن أبي العلاء وله إجازة من أبي بكر الخطيب وعنده عن أبيه السنن الكبير للنسائي، مات ببغداد في رجب سنة (548هـ).[4]

---

(1) سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج 18، ص440.

(2) المصدر السابق، ج: 19، ص293، 294.

(3) المصدر السابق، ج: 20، ص173.

(4) المصدر السابق، ج: 20، ص226.

- الشيخ الجليل أبو المكارم محمد بن أحمد

ابـن محمـد بـن أحمد بن عبدالله بـن عبدالعزيز بن عبـدالله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، سمع الحسين بن البسري وعدة وحدث عنه جماعة وكان من أعيان التجار حدث بخراسان، وتوفي في جمادى الآخرة سنة (568هـ).[1]

- شيخ الإسلام أبو العلاء الهمذاني الحسن بن أحمد العطار

ولد سـنة (488هـ) ومات سـنة (569هـ) بنيسـابور، من أبناء التجار، شيخ همذان، رحل إلى خراسـان وبغداد قيل عنه سـخي بمـا يملكه مكرم للغرباء برع في الحديث والقراءات والأدب، ألف زاد المسافر في علوم الحديث في 50 مجلـداً، كان مهينـاً للمال باع جميع ما ورثـه فأنفقه في طلب العلم، وكان كل ما يكسب من المال ينفقه على تلاميذه الذين يستضيفهم في داره ومسجده، وكان شديد الورع والتعلق بالسنة.[2]

- أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن صدقة

الشـيخ الصالـح الصـدوق الحـراني البـزاز السـفار المعـروف قديمـاً بابن الوحشـ شـيخ معمر معتبر دين تردد إلى خراسان وغيرها في التجارة وسمع في كهولتـه مـن الفراوي الصحيـح وغيره وله إحدى وأربعون سـنة، روى عنه جماعـة، وقال ابن النجار بنى بدمشـق مدرسـة ووقفها علـى الحنابلة، مات سنة (584هـ) بدمشق.[3]

- ابن كليب الحراني

أبـو الفـرج عبدالمنعـم بـن أبـي الفتـح عبدالوهـاب بن سـعد بـن صدقة بن الخضـر بـن كليـب الملقب بشمسـ الدين الحـراني الأصـل البغـدادي المولد

(1) المصدر السابق، ج: 20، ص583، 584.

(2) المصدر السابق، ج: 21، ص40 وما بعدها.

(3) المصدر السابق، ج: 21، ص193، 194.

والدار الحنبلي المذهب كان تاجراً وله في الحديث السماعات العالية وانتهت الرحلة إليه من أقطار الأرض وألحق الصغار بالكبار لا يشاركه في شيوخه ومسموعاته أحد، وكانت ولادته في صفر سنة خمس وخمسمائة وتوفي ليلة الاثنين السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين وخمسمائة ببغداد ودفن من الغد بمقبرة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه بباب حرب عند أبيه وأهله وكان صحيح الذهن والحواس إلى أن مات وتسرى مئة وثماني وأربعين جارية.[1]

- كمال الدين أبو الفتوح محمد بن علي بن المبارك

البغدادي ابن الجلاجلي التاجر الرئيس المقرئ، ولد سنة إحدى وأربعين وخمس مئة وسمع من هبة الله بن أبي شريك وابن البطي وتلا بروايات عدة، وجال من مصر إلى الهند وما وراء النهر في التجارة، وكان صادقاً كيساً محتشماً حافظاً للحكايات، روى عنه عدة، توفي في بيت المقدس في رمضان سنة (612هـ).[2]

- الشيخ الجليل المسند أبو المحاسن محمد

ابن أبي الفرج هبة الله، من أحفاد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، مولده سنة ثلاثين وخمس مئة، وسمع من عمه محمد بن أبي حامد وغيره، وتفرد في وقته وكان أبوه من حجاب الخلافة حدث عنه طائفة قدم الشام مرات في التجارة وكان ذا ثروة وصلاح وحسن طريقة وأضر في أواخر العمر، مات في سادس عشر شوال سنة (628هـ).[3]

---

(1) وفيات الأعيان ج: 3، ص227، 228.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج: 22، ص52.

(3) المصدر السابق، ج: 22، ص262، 263.

- أبو طالب عبداللطيف بن أبي الفرج محمد بن علي

ابن حمزة بن فارس ابن القبيطي الحراني ثم البغدادي التاجر الجوهري الشيخ الجليل الثقة مسند العراق، ولد سنة (554هـ) وسمع من جده علي بن حمزة وعدة، حدث عنه جماعة، وقد سافر في التجارة مدة وكان ديناً خيراً حافظاً لكتاب الله صادقاً مأموناً لا يحدث إلا من أصله وكان يتجر فتكاثر عليه الطلبة وروى الكثير وسمع سنن ابن ماجه وغيرها وولي مشيخة المستنصرية بعد أبي الحسن ابن القطيعي ثم كبر فأعفي من الحضور فكان يحدث بمنزله وقد بعث ابن زوجته بماله إلى المغرب فذهب المال وبقيت له دويرات توفي سنة (641هـ).[1]

- علي بن الحسن الحلبي

كان أبوه من كبار التجار ذوي الأموال الكثيرة مات بالإسكندرية سنة (667هـ) وقد سمع العلم وتعلم الحساب وولي الزكاة والوكالة ومات في شهر رجب سنة (706هـ).[2]

- أبو العباس أحمد ابن الشيخ الصالح صفي الدين أبي بكر

ابن أحمد ابن محمد السلامي سمع من ابن البخاري مشيخته تخريج ابن الظاهري، وسمع ببغداد وعني به أبوه وأسمعه، ورحل في طلب الحديث، وكتب خطاً حسناً، وكان تاجراً ثم قل ما بيده وتوفي عام (738هـ).[3]

- الشيخ المسند شمس الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف

ابن أبي العز بن عزيز بن دوالة الحراني التاجر بمدينة حلب سمع من النجيب عبداللطيف وعبدالعزيز ابني عبدالمنعم وأبي بكر محمد بن

(1) المصدر السابق، ج: 23، ص87، 88.

(2) الدرر الكامنة، ج: 5، ص43.

(3) الوفيات ج: 1، ص208، 209.

إبراهيم المقدسي وابن الخيمي وابن المنظور وحدث وخرج له جزءاً من حديثه وحدث به وكان رجلاً جيداً تاجراً مولده سنة أربع وستين وست مئة، وتوفي عام (738هـ) [1].

- محمد بن أحمد بن خالد بن محمد بن أبي بكر

الفارقي الأصل المصري بدر الدين ولد سنة (660هـ)، وحفظ التنبيه وقرأ القراءات واعتنى به الشيخ جمال الدين ابن الظاهري لإحسان أبيه إليه فأسمعه الكثير وخرج له أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً حدث بها مراراً وخرج له إبراهيم بن القطب الحلبي معجماً في مجلدين، كان أبوه من التجار الكارمية فورث منه مالاً كثيراً فأنفقه وتنعم ثم أملق، وسمع بالقاهرة والإسكندرية ومكة والمدينة وغيرها، وحدث بالكثير وكان ديناً خيراً كثير المروءة محباً للسماع سار إلى اليمن وغيرها وطلب بنفسه فقرأ الكثير وسمع وكتب بخطه مات في ذي القعدة سنة (741هـ).[2]

- سيف الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد بن الصباب

الحراني التاجر بدمشق سمع من ابن البخاري الأول والثاني من مشيخته وحدث، قال البرزالي: رجل جيد حافظ للكتاب العزيز وفيه ديانة وخير وسافر في التجارة إلى بلاد العجم وغيرها توفي عام (745هـ).[3]

- محمد بن الحسين بن محمود بن أبي الفتح

ابن الكويك الربعي التكريتي ثم المصري شرف الدين، كان من أعيان التجار الكارمية، وهو صاحب المدرسة الكبيرة بمصر وجعلها دار حديث وجعل لها أوقافاً كثيرة ومات مجاوراً بمكة سنة (764هـ)، وترك مالاً كثيراً

(1) المصدر السابق، ج: 1، ص235، 236.
(2) الدرر الكامنة ج: 5، ص43.
(3) الوفيات، مصدر سابق، ج: 1، ص505.

جداً فأفسده ولده تاج الدين محمد في سنة واحدة فيقال إنه أتلف فيها سبعين ألف مثقال ذهباً.[1]

- أبو يزيد وثيمة بن موسى بن الفرات

الوشاء الفارسي الفسوي كان قد خرج من بلده إلى البصرة ثم سافر إلى مصر وارتحل منها إلى الأندلس تاجراً وكان يتجر في الوشي وصنف كتاباً في أخبار الردة وذكر فيه القبائل التي ارتدت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو رجل مشهور ذكره أبو الوليد ابن الفرضي صاحب تاريخ الأندلس في كتابه، والوشي هو نوع من الثياب المعمولة توفي سنة (769هـ).[2]

- أحمد بن يوسف بن أبي البدر البغدادي

مجد الدين ابن الصيقل التاجر السفار قال الجزري في تاريخه كان من كبار التجار، ودخل الهند مراراً والمعبر والصين وأقام في تلك البلاد أكثر من عشرين سنة وكان يحكي عن العجائب التي شاهدها من جملتها قبة آدم على رأس جبل عالٍ يتوصل اليها بسلسلة من حديد فيتعلق فيها من له قوة قدر نصف يوم حتى يصل ثم يرجع من جهة أخرى كذلك. مات بحلب في مستهل صفر سنة (770هـ).[3]

- محمد بن مسلّم بن أحمد البالسي

التاجر الشهير كان من كبار التجار بمصر ورزق الحظ الوافر في التجارة وفي العبيد السفارة فكان يرحل إلى الهند والحبشة واليمن والتكرور ويعودون له بالأرباح الكثيرة المفرطة، ولما مات سنة (776هـ) ورثه ولده علي وغيره من ولده فكان حصة الذكر أكثر من مائتي ألف دينار، وهو صاحب المدرسة

(1) الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج: 5، ص170.

(2) وفيات الأعيان ج: 6، ص12.

(3) الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج: 1، ص401.

بالفسطاط من أحسن المدارس ولم تكمل إلا بعد موته وعمر مطهرة بجوار جامع عمرو بن العاص وكان كثير الصدقات كثير التقتير على نفسه.[1]

- أبو بكر زكي الدين الخروبي

ابن علي بن محمد بن علي التاجر الكارمي رئيس التجار بالديار المصرية وكان أصلهم من رحبة الخروب بمصر ونشأ هذا فقيراً لأن أباه كان يتعانى الزهد والخير بنى له زاوية بالجيزة بشاطئ النيل وكان يقيم بها ويجتمع عنده الفقراء وكان عمه بدر الدين الخروبي واسع المال جداً فمات ولم يخلف إلا ولد ولد صغيراً فاتفق أنه مات عن قرب وانتقل الإرث لزكي الدين هذا وكان قد دخل إلى البلاد اليمنية من طريق عيذاب بمتجر بخس فرجع فوجد ابن عمه قد مات فورث مالاً عظيماً جداً وتلقى ذلك بنفس أبيه وكرم مفرط فداخل الدولة وتعانى الرئاسة إلى أن فاق الأقران وخضع له أكابر التجار وصار عين أعيانهم وقد حج غير مرة وجاور، وفي أول سنة (786هـ) أقام على رئاسته وأحضر في هذه السنة النجم ابن رزين فأسمع عنده صحيح البخاري، ومات في أوائل المحرم سنة (787هـ) وكان واسع العطاء للفقهاء والشعراء كبير الحشمة والمروءة.[2]

ثانياً: قائمة مختارة من التجار الدعاة الذين تم التعرف عليهم من المصادر التاريخية

1- إبراهيم بن إسحاق الصيني، القرن (2هـ/8م)

2- ابن وهب القرشي، منتصف القرن (3هـ/9م)

3- أبو شوق الصيني، القرن (7هـ/13م)

---

(1) المصدر السابق، ج: 6، ص9.

(2) المصدر السابق، ج: 1، ص538.

4- أبو بكر التكروري (سلطان مالي)، توفي عام (723هـ/ 1322م)

5- أبو فقوص الإسكندري، القرن (7هـ/13م)

6- أحمد بن إبراهيم العمري، القرن (13هـ/19م)

7- الإخوة المغررون، القرن (6هـ/12م)

8- إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن جمال الدين

9- جميل سعيد، (معاصر)

10- جيهان شاه، مطلع القرن (7هـ) ونهاية القرن (13م)

11- حامد عيديد، منتصف القرن (14هـ/20م)

12- حسن بن أحمد العطاس، ولد عام (1248هـ/1832م)

13- حسين (الشريف)، (معاصر)

14- حميد المرجبي (تيبوتيب)، مطلع القرن (14هـ) ونهاية القرن (18م)

15- خشخاش الأندلسي (البحار)، القرن (5هـ/11م)

16- خواجة مهذب، منتصف القرن (8هـ/14م)

17- سعد الخير الأندلسي، توفي عام (145هـ/762م)

18- سعيد بن جمعة، القرن (14هـ/19م)

19- سليمان التاجر، منتصف القرن (3هـ/9م)

20- السيد إبراهيم، كان حياً عام (1316هـ/ 1900م)

21- السيد أبو بكر، منتصف (9هـ/15م)

22- سيد علي أكبر، نهاية القرن (9هـ/ 15م)

23- سيدي عبدالعزيز، العقد الثامن القرن (7هـ/14م)

24- شرف الدين التبريزي، منتصف القرن (8هـ/14م)

25- طبوطب، القرن (13هـ/18م)

26- طغانشاه بن عمر البخاري، توفي عام (702هـ/1302م)

27- عبدالرحمن بن حسين القدري، (العصر الحديث)

28- عبدالرحمن زيني، القرن (3هـ/ 9م)

29- عبدالرحمن قليلات، منتصف القرن (14هـ) ثلاثينات القرن (20م)

30- عبدالعزيز المنصوري، القرن (8هـ/14م)

31- عبدالقادر السقاف، منتصف القرن (14هـ/ 20م)

32- عبداللطيف بن أحمد الكويك الكارمي، توفي عام (734هـ/1333م)

33- عبدالهادي الدبس، منتصف القرن (14هـ) ثلاثينات (20م)

34- عبدالله سعيد باعديلة، توفي عام (1339هـ/1920م)

35- عبدالودود الأفغاني، أوائل القرن (14هـ) أواخر القرن (19م)

36- عمرو بن العاص (الصحابي الجليل)

37- فؤاد الدبس، منتصف القرن (14هـ) ثلاثينات (20م)

38- فاطمة بنت ميمون (زوجة تاجر عربي)، توفي عام (475هـ/1083م)

39- ماجد (الشريف)، (العصر الحديث)

40- مالك إبراهيم، توفي عام (822هـ/ 1419م)

41- محمد شهاب (إمام بونجول)، توفي عام (1281هـ/1864م)

42- محمد كامل طبارة، كان حياً عام (1360هـ/1941م)

43- مدرك بن فقوص الإسكندري، القرن (8هـ/14م)

44- ناصر الدين الشامي، أواخر القرن (7هـ/13م)

45- ناصر الدين بن قوام الدين، أواخر القرن (4هـ/10م)

46- ناصر بن محمد بن مسلم

الفصل الرابع

المبحث الأول: عوامل تدهور التجارة الإسلامية وأثرها على انتشار الإسلام

نسعى هنا لرسم صورة واضحة لعوامل ونتائج تدهور التجارة الإسلامية في العصور المتأخرة التي ساهم في رسم خارطتها المستعمر الأوروبي.

أولاً: العوامل الداخلية

استجدت عوامل عدة جرّت التجارة الإسلامية إلى الانحطاط ودفعتها إلى السقوط في مطلع العصور الحديثة وقد جاء هذا متسقاً مع معطيات جديدة هبت فيها رياح الحضارة والقوة في غير صالح الأمة الإسلامية، فمع أفول العصور الوسطى وانبلاج العصور الحديثة ظهرت عوامل متنوعة ومتفاوتة ومتداخلة صبت جميعها في خانة الإضرار بالأمة الإسلامية ولأن الضعف حضاري فلا يجوز أن نفسر العامل الواحد على حدة، إذ هي شبكة من العوامل المتضافرة التي لا ينفك بعضها عن بعض فبين عامل سياسي وآخر اقتصادي وثالث اجتماعي ورابع عقدي تضعضعت الأمة وتنازلت مرغمة عن قيادة العالم، ولإيماننا بترابط تلك العوامل المختلفة وتراكم تأثيراتها فإننا سنتطرق إليها بالقدر الذي يناسب حجم تلك التأثيرات.

على أنه يلاحظ أن العامل الاقتصادي التجاري الذي هو أقرب تلك العوامل إلى موضوع بحثنا سيكون محور تناولنا لهذا الموضوع.

فالظروف السياسية والاجتماعية المتخلفة التي مرت بها أمة الإسلام هي التي أفرزت واقعاً اقتصادياً مأساوياً فانهيار الدول الإسلامية الكبرى واضطراب الأمن في عموم بلاد الإسلام بسبب الاستعمار وفساد الحياة السياسية الإسلامية أدى إلى تقطع سبل التجارة وطرقها وتوقف صادراتها وضعف وارداتها. كما أن تخلي الأمة عن العلوم والمعارف والنهل منهما

وعـدم إفـراز الجديد فيهما أعطى أمم الغرب الفرصـة للتفوق والتقدم بعد أن أخـذوا بأسـباب القـوة المادية فصلحت أمورهم السياسـية وزادت قوتهم العسـكرية وأصبحـوا الأقدر علـى خوض البحار والمحيطات والسـيطرة على ممراتها وسواحلها حيث ظهر بذلك عصر جديد من عصور الاستعمار على يـد الإسـبان والبرتغال الذي أطبـق على الأمة قروناً لم تكـد تنفك منه حتى دخلت في دوامة الاسـتعمار مرة أخرى في موجة أشـمل وأخطر شـاركت فيه أغلب دول أوروبا الغربية.

ففي أفريقيا الغربية انهارت (مملكة صنغي) تحت ضربات عسـكرية قاسـية ومدمرة من جيش سـلطان المغرب (أحمد الذهبي) عام (1000هـ/1591م) والذي كان هدفه الأساس من ذلك السيطرة على مناجم الذهب الأفريقي وقد نجـح في تحقيقـه فعلاً ولكن كان ثمن تحقيق ذلـك الهدف باهضاً حيث دفعته أمـة الإسـلام بأفريقيـا الغربية بأكملها وأضـر بالتجارة الأفريقيـة التي كانت أهم وسائل الدعوة إلى الله هناك ضرراً بالغاً وكان من نتائج تلك الحملة:

– انحلال الوحدة السياسـية التي كانت تحت سـلطة حكم مركزي بيد ملوك صنغي وأصبحت السلطة بيد فئة بوليسية من المرتزقة المغاربة.

– اضطـراب حبـل الأمن في طـول المنطقـة وعرضها وانتشـار الخوف وقطع السبيل.

– نهـب خـيرات البـلاد وبخاصـة الذهب الأفريقـي الذي كان يصـدر للعالم أجمع آنذاك.

– ازديـاد أعمـال القرصنـة النهريـة لاصطيـاد الرقيـق السـود في الغابـات الأفريقية لحساب تجار النخاسة البشرية.

– انقطاع الطرق التجارية الخارجية أو ضعفها على أحسن الأحوال وضعف

صادراتها ووارداتها تبعاً لذلك.

- انهيار المراكز الثقافية التجارية في غرب أفريقيا، والتي كان من أشهرها مدينة تنبكتو المالية.

لقد حدث انهيار سياسي متكرر وعنيف لدول إسلامية عظمى في غرب أفريقيا سبق انهيار (مملكة صنغي) على يد سلطان المغرب (أحمد الذهبي). كما انهارت قبلها (مملكة غانة) القوية أمام غزو (مملكة مالي) لها ثم انهيار مالي أمام توسع مملكة صنغي، لكن يلاحظ مع كل تلك التحولات السياسية ثبات الحالة الاقتصادية والاجتماعية واستمرار نموها وتفاعلها لأن تلك التحولات هي تقلبات من داخل المجتمع الأفريقي أما ما حدث من الغزو المغربي فهو أمر آخر حيث حل العنف محل الهدوء وساد الفقر بين المسلمين وأصبحوا أقليات سكانية في بحار من الوثنية والتخلف بل أصبح ينظر لهم على أنهم محل شك وموطن ريبة من قبل حكومات وثنية أو مسلمة متسلطة.[1]

وبالجملة فإن سقوط ممالك الإسلام الكبرى في غرب أفريقيا تلاه فترة ركود للدعوة الإسلامية ونظراً لتوقف توسع القوة الإسلامية عسكرياً وسياسياً وافتقاد الإسلام في أفريقيا كما يقول الدكتور يوسف فضل «للقيادة الرشيدة».[2] وهذا التراجع السلبي للدعوة الإسلامية والضعف السياسي والعسكري مهد لظهور الاستعمار الأوروبي كقوة طامعة في أفريقيا.

وفي آسيا نرى نماذج أُخر أدى فيها انحلال القوة السياسية للإسلام في سواحل الهند و بلاد الملايو وجزر أندونيسيا (سومطرة وجاوة) وجزر الفلبين على يد الاستعمار الأوروبي المتتابع البرتغالي والإسباني ثم

(1) مجلة الدارة، العدد الثاني، سنة 12، المحرم 1408هـ، ص184.

(2) يوسف فضل، مصدر سابق، ص20.

الإنجليـزي ثم الهولندي إلى تراجع التجارة الإسـلامية كثـيراً على الطريق التجاري البحري الآسيوي.

أمـا طريـق الحرير (الطريق التجاري الآسـيوي الـبري) فقد اضمحل دوره أيضـاً لأسـباب سياسـية وعسـكرية مبكرة تمثلـت في الغزو المغولي الشرس الذي اكتسـح أواسـط آسـيا متجهاً إلى غربهـا فدمر طريق الحريـر وأفقده حيويته الحضارية والتجارية التي عرفها قروناً.

أمـا القـوة الإسـلامية السياسـية في الأندلس فقـد كان انهيارهـا علـى يـد الإسـبان في خاتمـة لحـرب صليبيـة شرسـة؛ سـبباً في فتـح شـهية نصـارى إسـبانيا والبرتغال لملاحقة المسـلمين الهاربين إلى شـواطئ البحر المتوسـط الجنوبية (شـمال أفريقيا) ومطاردة الأمة الإسـلامية كلها بلا اسـتثناء في أفريقيـا وآسـيا والبـلاد العربيـة وما بينهـا من بحار ومحيطات تحت شـعار (الكشـوف الجغرافيـة) لتحقيق هدف معلن وآخـر خفي؛ فالمعلن هو تحقيق المصالـح الاقتصاديـة الأوروبيـة والبحـث عـن طـرق تجاريـة بحريـة لا تمر بأراضـي المسـلمين في أفريقيـا وآسـيا عـبر البحر المتوسـط والبحـر الأحمر والخليج العربي، وأما الهدف الخفي فهو التمهيد لجهود التنصير.

ثانياً: العوامل الخارجية

1- السيطرة الاستعمارية (سياسياً).

نتيجـة للصـراع الحضـاري بـين العـالم الإسـلامي وأوروبـا ظهـرت رغبـة أوروبـا الجامحة في الالتفـاف على العالم الإسـلامي اقتصادياً والبحث عن طـرق تجاريـة لا تمر بأراضـي دولة المماليـك (أكبر دولة إسـلامية آنذاك) وسـلوك طريق رأس الرجاء الصالح الذي يحاذي سـواحل أفريقيا الغربية ثـم الجنوبيـة ثـم الشـرقية والعبـور من هنـاك إلى الهنـد وقد تزعـم تنفيذ

هـذه المهمـة البرتغاليـون. ويعني هـذا توقف خطـوط التجـارة الأوروبية عن عبـور حوض البحر المتوسـط ثم البحـر الأحمر مما أضر كثـيراً بالاقتصاد الإسـلامي، يقول المـؤرخ (قطب الدين النهروالي): «بعـد أن وصلت مراكب البرتغاليـين إلى الهنـد، وكانـت الإمـدادات تـترادف عليهـم مـن البرتغال، وصاروا يقطعون الطريق على المسـلمين... فأرسـل السـلطان مظفر شـاه بن محمود شـاه (سلطان كجرات) إلى السلطان قانصوه الغوري... لدفع ضرر الفرنج عن المسلمين... وممن أرسل إلى السلطان الغوري يطلب النجدة على الفـرنج السـلطان عامر بـن عبدالوهاب، لكـثرة ضرر الفرنج بالمسـلمين في بحر اليمن وبنادرها».[1]

لقد حرص الاستعمار البرتغالي وغيره من سلطات الاستعمار الأوروبي على الإضرار بالعالم الإسـلامي عن طريق ضرب مصالحه التجارية بالاستيلاء على خطوط التجارة أو استحداث بديل لها، والسيطرة على المراكز التجارية الساحلية كخطوة أولى ثم دخولهم في عمق البلاد الإسلامية والسيطرة بعد ذلك على التجارة الداخلية بعد أن يتم لهم السيطرة على التجارة الخارجية.

وقد تعرضت جميع سواحل أفريقيا الشرقية من سفالة حتى مقديشو لهجوم حملة (فاسكو دي جاما) البرتغالي مطلع القرن (10هـ / 16م) ورغم فشل هـذه الحملـة بالسـيطرة علـى تلـك السـواحل في أول الأمـر، إلا أنها نجحت بعد ذلك بما لديها من قوة عسـكرية من السـيطرة على أكثر تلك السـواحل حيث دام الوجود البرتغالي هناك مدة قرنين من الزمان، كما شمل العدوان البرتغالي الاعتداء على سواحل الجزيرة العربية الجنوبية.

وفي موجـة اسـتعمارية بعـد ضعـف القـوة البرتغاليـة ظهـرت قـوى صليبيـة

(1) قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني، الرياض، 1967م.

أوروبيـة جديـدة طامعـة في القـارة الأفريقيـة وفق رؤيـة أعمق خطـراً وأدق تخطيطـاً وأسـوأ في أثرهـا علـى البـلاد والعباد وقد سـاهمت عـدة دول من أوروبا الغربية في هذا الجهد الاسـتعماري، ومن أشـهرها فرنسا التي صبت جهودهـا لاحتـلال أفريقيا الغربية وسـواحلها على المحيط الأطلسـي وكانت الذريعـة التـي دخـل بهـا الفرنسـيون تلـك المنطقـة هـي التجـارة حيـث بثوا موجات من تجارهم مكونين طلائع للاستعمار الفرنسي الذي توغل في عمق أفريقيـا الغربية لفترة (قرن ونصف القـرن)، وقد حدثت المحاولات الأولى لتلـك الطلائـع في أواخـر القـرن الثامن عشـر الميـلادي ثم توجـت باحتلال القوات الفرنسية بقيادة (فيديرب) مدينة (المدينة) على نهر السنغال عام (1274هـ/ 1857م) حيث قاومها (الحـاج عمر طال) حاكم منطقة الفوتا السنغالية، وقد ساهمت القبائل الموريتانية في مقاومة المستعمر الفرنسي.[1]

أما في الشـأن الآسـيوي فقد تعرضت شـبه جزيرة الملايو وبخاصة الأجزاء الجنوبيـة منهـا ذات الأهميـة التجاريـة البالغـة لهجـوم برتغـالي حيـث احتـل البرتغاليـون (ثغر ملقـا) عام (917هـ /1511م) ثـم انتقلت إلى يد الاسـتعمار الهولنـدي عـام (1051هـ/1641م) ثـم احتلهـا الإنجليـز عـام (1240هـ/1824م) ولا شـك أن الدافـع الـذي حـرك العـدوان الصليبـي لاحتـلال ملقـا في كل مرة هو تلك الأهميـة التجارية لذلك الميناء على صعيد التجارة العالمية بأسرها.

كمـا نجحـت القوات الإسـبانية بالنـزول إلى جـزر الفلبين حيث احتـل القائد الإسـباني (ميغـل لوبيز) (جزيرة سـيبو) عـام (973هـ/1516م)، وانطلقوا منها لغزو الجزر الأخرى حيث سيطروا على مملكة (راجا سليمان) الإسلامية واحتلـوا عاصمـة المملكـة وجعلوهـا قاعـدة لهـم وهـي عاصمـة الفلبـين اليـوم

(1) مجلة الدارة، مصدر سابق، ص183.

(مانيـلا). وقد صمدت أمامهم لفترة من الزمن الجزر الجنوبية نظراً لتركز المسلمين هناك وقوتهم حيث اعتمدوا على نشاطي (التجارة والصيد).[1]

2- السيطرة الاستعمارية (تجارياً).

مـن العوامـل المباشـرة والمؤثرة أثراً سـلبياً بالغـاً في التجارة الإسـلامية هو السـيطرة الاقتصاديـة علـى طـرق التجـارة وسـلعها التـي كانـت أحـد أهم الأهـداف التـي شـنت أوروبـا من أجلهـا الحرب علـى الأمة الإسـلامية منذ سـقوط الحكـم الإسـلامي في الأندلـس بقيـادة كل مـن البرتغال وإسـبانيا. وقامت سياسة تلك الدول على أسلوب احتكار طرق التجارة ومواردها ويأتي اكتشـاف طريق (رأس الرجاء الصالح) الذي يحاذي أفريقيا من الجنوب أهم أزمة حضارية حقيقية واجهتها الأمة الإسـلامية آنذاك في صراعها مع القوى الصليبية الناشـئة في شـبه الجزيرة الإيبرية، وكان البحار البرتغالي (برتلمي دياز) هو أول من عبر هذا الطريق عام (904هـ/ 1498م) وأطلق عليـه (رأس الزوابـع) لصعوبة مسـلكه وكـثرة أهواله وزوابعـه ولكن الأمير (هـنري المـلاح) الـذي أصبح ملك البرتغال بعد ذلك سـماه (رأس الرجاء الصالـح) تيمنـاً بفائـدة هـذا الطريـق لتحقيـق مصالـح البرتغـال المضرة بالمسـلمين، وقـد سـلك (فاسـكو دي جامـا) هـذا الطريـق إلى الهنـد غازياً البحار الإسـلامية وسـواحلها عـام (903هـ/1497م) حيـث وصل موزمبيق (سـفالة قديماً) ولكن زعيمها لم يتعاون معه وكذلك وجد الجفاء من أمراء العـرب المسـلمين في كلـوة وممبسـا، ولكن حاكـم مالندي (في كينيـا حالياً) اسـتقبله نكايـة بأولئـك الأمـراء الذيـن كان علـى خـلاف معهم، مما سـهل انطلاق العدوان البرتغالي من تلك النقطة (مالندي) للسيطرة على المراكز الإسـلامية على السـاحل الشرقي لأفريقيا من سفالة حتى مقديشو بل وغزو

(1) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، 8 / 460.

السواحل الجنوبية للجزيرة العربية.

وكان سلاطين المماليك المتأخرون قد ساهموا في تنفير التجارة الأوروبية لتبحث لها عن طريق بديل وذلك أن احتكارهم المحكم لتجارة الذهب والفضة لحسابهم الخاص كما فعل السلطان (قانصوة الغوري) ومبالغتهم في جني الأرباح الباهظة من الرسوم الجمركية، دفع تجار المدن الإيطالية التجارية إلى تفضيل التعامل مع لشبونة (عاصمة البرتغال) مما أضعف التجارة المتوسطية الأوروبية مع مصر والشام. كما أن المماليك قد احتكروا تجارة التوابل منذ عام (700هـ/1300م) حيث أجبروا قوافلها القادمة من الشرق الآسيوي على المرور بالقاهرة لكي تقوم السفن المملوكية بحملها إلى أوروبا وكانت هذه الرحلة عبر رأس الرجاء الصالح حول أفريقيا تستغرق سنتين. حيث تضررت المدن الأوروبية التجارية المطلة على الساحل الشمالي للبحر المتوسط مما دفعها لتنشيط العلاقات التجارية مع العثمانيين (براً) عن طريق آسيا الصغرى ثم بقية المناطق الخاضعة للدولة العثمانية في آسيا وأفريقيا، مما أحدث صحوة اقتصادية وانتعاشاً تجارياً نسبياً للمسلمين بعد الضربة التي تلقوها بسبب افتتاح طريق (رأس الرجاء الصالح).[1]

وكان البرتغاليون قد فرضوا نظاماً احتكارياً على طرق التجارة وبضائعها وبخاصة نقل التوابل من الهند إلى البحر الأحمر والخليج العربي حيث وضعوا نقاط تفتيش على مضيقي هرمز وباب المندب ولقد أدى هذا الاحتكار التجاري البرتغالي في أفريقيا وآسيا، والإسباني في جنوب شرق آسيا إلى الإضرار بالعالم الإسلامي اقتصادياً حيث فقد المسلمون السيطرة على قيادة دفة التجارة العالمية أو المساهمة فيها واقتصار نشاطهم التجاري على التجارة الداخلية والبينية. وكان أكثر المتضررين من هذا الوضع هم

(1) مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة الثامنة، العددان (85/86)، صفر / ربيع أول 1406هـ، ص38.

التجار لأنهم هم الدافع الأول للضرائب الباهظة والرسوم الجمركية.

وأمام هذا الخطر الداهم على الأمة الإسلامية حاول المماليك التعاون مع البنادقة مستغلين العلاقات التجارية الوطيدة بينهما لبناء قوة بحرية ضاربة لوقف التغلغل البرتغالي في البحرين المتوسط والأحمر والخليج العربي، ولكن هذه المشروع لم يلق قبولاً لدى البنادقة فاضطر معه المماليك إلى التنسيق مع العثمانيين وطلب مساعدتهم ليستطيعوا الوقوف في وجه الخطر البرتغالي وتم ذلك التعاون فعلاً حيث أمدوهم بالإسناد البحري الحربي اللازم في عهد (السلطان با يزيد الثاني) عام (916هـ/1510م) وكان الأسطولان المصري والهندي قد اتحدا ضد البرتغاليين في (معركة دايو) البحرية الشهيرة وانتصرا فيها عام (914هـ/ 1508م) ولكن البرتغاليين تفوقوا على ذينك الأسطولين بعد عام من تلك المعركة. وعندما سارت الحملة البحرية المصرية العثمانية لاستعادة ميزان القوى ورست في اليمن انشغلت بحرب أهلية مع سلاطينها بدلاً عن ملاقاة البرتغاليين.

ورغم السيطرة البرتغالية المحكمة على مسالك التجارة الإسلامية ومصادرها وسلعها عبر طرقها التقليدية براً وبحراً فقد استمر التجار المسلمون في نشاطهم المعتاد في وسط ظروف اقتصادية صعبة. وكان مما ساعدهم على ذلك عدة عوامل منها:

- استمرار العلاقات التجارية بين المسلمين والبنادقة في حوض البحر المتوسط.

- دخول العثمانيين كقوة سياسية إسلامية جديدة ذات قوة عسكرية بحرية أخذت على عاتقها مطاردة البرتغاليين في البحار العربية وتحقيق نوع من الردع والتوازن مع الدول الأوروبية المستعمرة.

- الرغبة الصادقة والملحة لدى عرب الجزيرة العربية في سواحلها الشرقية

والجنوبية وتجار مصر والشام لممارسة حقهم الطبيعي في التبادل التجاري مع إخوانهم في شرق أفريقيا وجزر المحيط الهندي وساحل المليبار وجزر جنوب شرق آسيا رغم قسوة الظروف المحيطة التي أوجدها الاستعمار الأوروبي.

أما الجهود التي بذلتها إسبانيا لتطويق العالم الإسلامي اقتصادياً فلا تقل ضرراً على الأمة مما أقدم عليه البرتغاليون، فقد ضرت إسبانيا بالتجارة الإسلامية في مجالين: الأول منهما عندما احتكرت خطوط التجارة في جنوب شرق آسيا وبخاصة في بحر الصين وعلى سواحل الفلبين وما حولها، وقد صدرت تعليمات الحاكم الإسباني للفلبين لأحد قادته العسكريين المتوجه في حملته لضرب المناطق الإسلامية عام (986هـ/ 1578م) في سولو وبرنيو، بالتعليمات الآتية:

- فرض الضرائب باللؤلؤ على المسلمين.
- أن تكون تجارتهم معنا فقط بيعاً وشراءً.
- زراعة الأرض وتسليم محاصيلها للإسبان.
- منع الدعاة من الوعظ والدعوة للإسلام.
- التجاوب مع جهود التنصير.
- القبض على علماء المسلمين وإحضارهم إلى الحاكم.
- يتم حرق المساجد التي تقوم بتعليم الناس القرآن الكريم والعلم الشرعي.
- ألا تخرج سفينة تجارية من عندهم سوى سفن الصيد وإلا سوف تصادر وما تحمله من ذخيرة وسلع.[1]

ولعلك رأيت أن هذه التعليمات لم تقتصر على التضييق على التجارة

(1) محمد شتا، ضمن أعمال المؤتمر الجغرافي الأول، مصدر سابق، ص562.

الإسلامية بل حتى على أنشطة الدعاة والعلماء والمؤسسات التي تنطلق منها تلك الأنشطة مما يوحي أن المستعمر كان يدرك مدى العلاقة الوطيدة بين النشاط التجاري وانتشار الإسلام.

أما الإضرار الثاني الذي وجهته السلطات الإسبانية للتجارة الإسلامية فهو غزوهم للأمريكتين باسم الاكتشافات الجغرافية واستحداث طرق تجارية جديدة مع العالم الجديد واحتكارها وصرف النظر عن خطوط التجارة التقليدية بين العالم الإسلامي وأوروبا حيث انفتحت آفاق جديدة لتحقيق الأطماع الغربية السياسية والاقتصادية والاجتماعية من خلال الهجرة إلى الأرض الجديدة والاتجار معها، وفتح بلاد واسعة أمام الفائض البشري في أوروبا، وفتح أسواق ضخمة لتصريف الفائض من الإنتاج، وتأمين المواد الخام الأولية للمصانع الأوروبية، وتسويق العبيد الأفارقة في الأرض الجديدة.

أما الاستعمار الهولندي للأرخبيل الأندونيسي فقد اتبع سياسة مختلفة تنطوي على قدر من المكر والدهاء فهو ترك شأن التجارة الداخلية للسكان. ولكنه احتكر أدوات ووسائل التجارة الخارجية ومرابحها وجعلها تحت سيطرته. فهو بهذا حصل غنمها ونجا من غرمها حيث ترك التجار المسلمين من أهل البلاد أو المستوطنين من العرب يمارسون نشاطهم المعتاد ويجلبون البضائع إلى المنافذ لأنهم أقدر من المستعمر على القيام بهذا العمل وأعرف بالطرق التجارية والمسارات البحرية بين الجزر وفي الغابات وبين القرى والقبائل، وعندما يوصل التجار تجاراتهم إلى السواحل تقوم سلطات الاستعمار الهولندي بمهمة مراقبة تصديرها وفرض الرسوم عليها، وعلى السلع التجارية الواردة إلى الجزر الأندونيسية.

وفي غرب أفريقيا سعت فرنسا للتضييق على التجارة الإسلامية من خلال الامتيازات التي منحتها للتجار الفرنسيين والتي تكرس مبدأ الاحتكار،

وقد فطن لهذا قادة الجهاد ومقاومة للنفوذ الفرنسي عقد المجاهد (عمر طال) هدنة عسكرية حينما رأى التفوق الظاهر للقوة الفرنسية أمام قواته المتواضعة وذلك عام (1277هـ/ 1860م) وقد جنى الحاج (عمر طال) من هذه الهدنة الكثير من الفوائد منها:

- التقط المجاهد (عمر طال) ورفاقه أنفاسهم واستعادوا بها عافيتهم العسكرية.

- تحجيم النشاط التجاري الفرنسي الممتد في عمق الغرب الأفريقي وبخاصة نحو النيجر.

- توجه الشيخ عمر نحو المشرق إلى (النيجر) في عملياته العسكرية للفتح والدعوة.

بهذه الجهود نجح الشيخ (عمر طال) في إقامة دولة إسلامية كونها من تجمع قبائل غرب أفريقيا عام (1300هـ/ 1863م)، وبلغت دولته من مدينة (المدينة) قاعدة الفرنسيين في أرض السنغال (غرباً) حتى تنبكتو في مالي (شرقاً)، عندها شعر الفرنسيون بخطورة تهديد هذه الدولة لمصالحهم الاستعمارية فأظهروا المكر والخديعة أمام هذه القوة الإسلامية حيث أرسل القائد الفرنسي (فيدريب) سفارة تطالب الشيخ عمر باحترام الهدنة السابقة، وتعهد له في نفس الوقت بدفع التجار الفرنسيين الجزية له في أراضيه.[1]

(1) مجلة الدارة، المصدر السابق، ص191.

المبحث الثاني: أثر تدهور التجارة الإسلامية على انتشار الإسلام

رأينا في الفصل السابق كيف تراجع الدور الحضاري للمسلمين على صعيد النشاط التجاري العالمي نظراً لعدة عوامل داخلية وخارجية أدت في مجملها إلى ظهور قوى جديدة كان لها الغلبة والتفوق على أمة الإسلام، وبهذا برز إلى الساحة العالمية مع مطلع العصور الحديثة وضع جديد أفرز نتائج لم تكن في عمومها في صالح الأمة الإسلامية حيث تدهورت التجارة وأصبح سادتها غربيين لا شرقيين ومسيحيين لا مسلمين، وقد جلب هذا الضرر على الأمة من خلال:

أولاً: تراخي حركة الدعوة إلى الإسلام على أيدي التجار لأنهم فقدوا مكانتهم التجارية وبالتالي فقدوا كثيراً من تأثيرهم كما أن كثافتهم العددية تراجعت بلا ريب فترك هذا ضعفاً في دورهم قياساً على دورهم التاريخي المأثور عنهم، فبعد تدهور التجارة الإسلامية تركزت الثروة في يد مجموعة من الاقطاعيين الجشعين من الأوربيين أو من أهل البلاد المحالفين لهم والدائرين في فلكهم، مما جعل المال وأسباب الثراء تتركز في يد قلة من الناس في حين يبقى الكثير جداً من الشعب المسلم بين حالة الكفاف أو الإملاق وهذا لا شك أفسد المجتمع وأضعف رغبته في التفوق وجعله منشغلاً عن الدعوة بتلبية متطلبات الحياة الصعبة والسعي لكسب الرزق وتوفير لقمة العيش.

ثانياً: نتيجة لتدهور التجارة زادت نسبة الفقر والحاجة في المجتمعات الإسلامية، كما أن التجار أنفسهم أرهقتهم الضرائب التي يأخذها الحكام المحليون وسلطات الاستعمار الاحتكارية التي تقف لهم بالمرصاد في كل ميناء وساحل. وهذا جعل التاجر المسلم فضلاً عن الفرد العادي غير قادر

في كل حال على إمداد وتمويل مشاريع الدعوة كالمساجد والكتاتيب والمكتبات ودعم طلبة العلم وراغبي الحج... وغياب تلك المؤسسات أضعف دورها المؤثر الفعال في حياة الناس في قارتي أفريقيا وآسيا.

ثالثاً: مع تراجع النشاط التجاري للمسلمين في آسيا و أفريقيا و العالم الجديد انحسرت الدعوة السلمية إلى الله بهذا الطريق الفعّال، وتراجع المد الإسلامي أمام زحف الوثنية من جديد حيث أطلت برأسها تنفث خرافاتها وشركها بين قبائل أفريقيا وآسيا بسبب تقاعس الدعاة والتجار عن دورهم المأمول في توسيع رقعة الإسلام وتكثير أتباعه مما أدى إلى حدوث نكسة في جهود الدعوة حيث تخلت الكثير من القبائل -التي طرق الإسلام بابها وحل بدارها- عنه فبقيت لا تعرف من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه.

فقد عثر في أستراليا على مجموعات مسلمة بالوراثة لا تعرف من الأذان إلا أنه أغنية كان يرددها الأجداد، وهم يعيشون في منطقة تسمى مكة ولديهم بقايا إسلام من الذبح وتقاليد الطعام والوفاة والأسماء... إلخ.

وفي أفريقيا تحدث الشيخ الداعية (عبدالرحمن السميط) عن قبائل (الغرياما) شرق أفريقيا وهي قبائل أكثر أهلها وثنيون وفيهم مسيحيون ولكن الملاحظ شدة تمسكهم بسلوك ومظاهر إسلامية، وسبب ذلك اختلاطهم بالتجار العرب من أهل ممباسا على زمن الأمير (مبارك المزروعي) ومشاركتهم في الجهاد إلى جانب المسلمين ضد البرتغاليين ويحتفظ أهل القبيلة الآن بمظاهر إسلامية مثل: الأسماء العربية ذات الصبغة الإسلامية (كأحمد ومحمد وخلفان ومبارك وسعيد)، كما أنهم يحترمون شهر رمضان ويعظمونه، ويدفنون الموتى على الطريقة الإسلامية، كما يحرصون على الختان حتى بعد الموت، ويحتفلون بالمولود في يومه السابع

ويحلقون رأسه، ويعرفون الزواج الشرعي، ولا يشربون الخمر.[1] أما (قبائل الغبرا) والتي تسكن ما بين كينيا وجنوب أثيوبيا فقد نزحوا من الصومال يحملون الإسلام قبل (400 سنة) ولكن بسبب الجهل والبعد عن الدين وضعف الدعوة فيهم تلاشى الدين على مر الأجيال من قلوب الناس ولم يبق إلا السلوكيات الظاهرية للدين كصيام رمضان (ظاهرياً) والاحتفال بعيد الأضحى ويذبحون فيه ويسمون شهر الحجة بشهر عرفة، ومن بقايا الحج لديهم أنهم منذ دخول عشر ذي الحجة لا يقطعون شجرة ويقولون في العيد نور الله ومكة والمدينة والحمد لله ربنا (بلغة عربية واضحة) ويسمون أسماء محرفة عن أسماء عربية إسلامية مثل (مامو = محمد) و(أمورو = عمر) و(أدنوا = آدم) و(أبودو = عبده)، وأسماء الأيام لديهم كما هي بالعربية تماماً، ويعتقدون أنه كان لديهم كتاب مقدس ولكنه فقد ويدخلون مكاناً لديهم بمثابة مسجد ويخلعون قبل دخوله نعالهم، وينادون إلى الصلاة فيه خمس مرات، ويقولون في النداء (كاليو- كاليو) بالصومالية أي (تعالوا) بالعربية. ولا تزال على ألسنتهم بعض الكلمات العربية (السواحلية) مثل: (دستور- قانون- عادة- حرام- نفس- قبل- سنين- مناضحة).[2] ويمكن أن يقال ذات الشيء عن قبيلة (الرانديلي) في كينيا فهي تتشابه في تقاليدها وبقايا الإسلام فيها مع ما عند قبائل (الغبرا) السابقة الذكر.[3] وكذلك حال بقايا الطقوس الرمزية للإسلام في جزيرة مدغشقر في المحيط الهندي.

وإذا جبت قارات العالم وجزره فستجد بقايا إسلام تبرهن على توسع هائل حدث لهذا الدين في الأزمنة البعيدة وفي ذات الوقت تدلك تلك البقايا على أن نكسة دعوية أصابت جهوداً دعوية جبارة كان يقوم بها سلف صالح من

(1) عبدالرحمن السميط، رحلة خير في أفريقيا، الطبعة الأولى، 1404هـ، ص21، 22.

(2) المصدر السابق، ص108، 109، 132.

(3) المصدر السابق، ص139، 140.

هذه الأمة من التجار وغيرهم.

رابعـاً: مع تراجع مد الدعوة الإسـلامية على أيـدي التجار والدعاة، وإحكام الاستعمار لقبضته السياسية والعسكرية والاقتصادية على العالم الإسلامي تكونـت بيئة مناسـبة لإفسـاد المجتمعات الإسـلامية عبر جيوش المنصرين وأفـكار المستشـرقين الذيـن كانوا خط الهجـوم الأول للاسـتعمار على الأمة الإسـلامية فيما اصطلح على تسـميته بالغزو الفكري والذي من أبرز معالمه ما يأتي:

1- الحـرب علـى اللغـة العربية: التي اسـتطاع التجار نشـرها في كل منطقة وصلوها من أصقاع العالم، والتي كانت تسري في حياة النـاس سريان الدين في قلوبهـم، فأصبحـت الوعـاء الـذي حمـل هذا الديـن العظيـم إلى العالم، فعندمـا جـاء الاسـتعمار وضـاق ذرعاً بالقـوة التي بثهـا الإسـلام في أتباعه ليقاومـوه رأى أنـه لكـي يقطـع صلة تلـك الشـعوب بدينها يجب عليـه أولاً أن يفسـد علاقتهـا بلغـة هـذا الديـن التي هـي لغة القـرآن فشـن حرباً قاسـية وطويلـة الأمد ضـد اللغة العربية بمناهجهـا ومؤسسـاتها ومعلميها، وأوضح مثال عليها مشـاريع الفرنسـة التي اختطها الاسـتعمار الفرنسي في الجزائر والسنغال، والتي منيت بالإخفاق الذريع.

وقد سـعت الكنائـس التنصيرية من جانبها إلى دعم نشر الأحرف اللاتينية وكتابـة الأناجيـل بها وجعلتهـا بديلاً للأحرف العربية وجعلـت اللاتينية هي وسـيلة كتابـة اللغـات الأفريقيـة المحليـة بـدلاً عـن العربيـة لقطـع صلة تلك الشعوب بها.

2- بـث الإرسـاليات التنصيريـة جـاءت جهـود التنصـير المتزايـدة بسـبب ضعف المسـلمين مادياً وفكرياً حيث أصبحوا عرضة لمثل هذه الأنشـطة التي

تهدد بحق دينهم وعقيدتهم كما أن القوة العسكرية والسياسية للاستعمار ساعدت على تسهيل مهمة المنصرين في بلاد المسلمين، كما أن احتكار السلطات الاستعمارية للتجارة قد حد من نشاط التجار وكثرة اختلاطهم بالسكان لنشر الإسلام بينهم، ولا شك أن المستعمر قد فطن إلى دور التجار في نشر الإسلام وما يشكله هذا على نفوذه ومصالحه فشرع في تحجيم نشاطهم التجاري والتضييق عليهم وسحب الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها. يقول الأمريكي الدكتور (دافيد صوفر) وهو أستاذ في الجغرافيا: «إن التبشير المسيحي في أفريقيا قد اعتمد على منظمات كنسية دينية ذات نشاط مستمر ولحوح ويخضع لتنظيم مركزي محكم مرتبط بالقوة الاستعمارية، أما الإسلام فقد انتشر عبر الاتصال العادي بغير المسلمين فلم يكن هناك تنظيم تبشيري محكم ولكن يتم نشر الإسلام بالاختلاط والأخلاق الحسنة فكسب الإسلام مناطق فسيحة كثيفة السكان بهذه المخالطة الفردية، حيث استقر التجار واختلطوا بالسكان وتزاوجوا معهم عبر سواحل المحيط الهندي».

ومن عجب أن التنصير في أفريقيا (مثلاً) سخر التجارة لتمويل أهدافه الخاصة، فكأننا أمام شيء ما اقتبسه الغربيون المنصرون من تاريخ انتشار الإسلام عن طريق التجارة في هذه القارة، فنجد أن النشاط التنصيري في (غانا) انتشر عن طريق المنصرين التجار الذين طرقوا سواحلها لغرض التجارة منذ القرن (9هـ/ 15م) وكان النشاط التنصيري يمول من الاستثمارات التجارية العائدة للمؤسسات التنصيرية، وقد أسست على سبيل المثال (الشركة التجارية) على ساحل غانا في القرن (14هـ / 19م) في مدينة خماسي الغانية والتي أصبحت مركزاً مهماً من مراكز التنصير في

القرن الذي تلاه.[1] أما الجهود الحبشية التنصيرية فقد ركزت على تطويق الامتداد الإسلامي ذي الطابع التجاري والمنطلق من شرق أفريقيا، حيث شنت حرباً عسكرية وسياسية ذات روح صليبية، لإيقاف المد الإسلامي الذي هدد الحبشة ذاتها ودخل فعلاً إلى قبائلها الجنوبية.

خامساً: مع تدهور التجارة الإسلامية وسقوط الحكم الإسلامي في كثير من بلاد الإسلام ووقوعها تحت سلطة المستعمر الأوروبي، نشطت تجارة الرقيق الأسود والأبيض من بلاد الإسلام في أفريقيا خاصة وكانت المعطيات العالمية في مطلع العصور الحديثة قد شجعت على تزايد حمى تجارة الرقيق على يد الأوروبيين الذين كانوا ينقلون الرقيق إلى ما سموه العالم الجديد، وقد تحولت مراكز الثقافة الإسلامية والتجارية على سواحل البحار والمحيطات وضفاف الأنهار إلى مصايد للعبيد، ورغم وجود هذه التجارة في الزمن الإسلامي إلا أنها لم تكن بهذه الكثافة كما أنه لم يكن يرافق جلب العبيد على يد المسلمين ما عرف عن تجارة العبيد الأوروبية من الظلم في المعاملة وسوء النقل، والاستغلال البشع لإنسانية الإنسان وإهدار كرامته. يقول أحد المؤرخين الغربيين: «كان للسيد من المسلمين حق الحياة والموت على عبده، ولكنه كان في العادة يحسن معاملته إلى حد لم يكن معه مركزه أسوأ من مركز العامل في المصانع الأوروبية في القرن (19م)، بل لعله كان أحسن حالاً من ذلك الصانع لأنه كان آمناً على حياته منه».[2] وإليك من صور تجارة الرجل الأبيض للرقيق الأسود ما يؤكد مدى حضارة ذلك الرجل الأبيض!

الصورة الأولى: ما كان يحدث في (جزيرة غوري) السنغالية والتي تقع على مسافة ثلاثة كيلومترات عن ساحل العاصمة السنغالية (دكار) على المحيط

---

(1) مجلة الأمة، عدد (44) شعبان 1404هـ، ص47.

(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، (13، 112).

الأطلسـي، حيـث يقـع فيهـا (بيـت الرقيـق) الـذي كان يكدس فيـه الأرقاء الأفارقـة الذين تم اصطيادهم قبل ترحيلهـم إلى الأمريكتين، والذي أصبح الآن من الأماكن السـياحية التي يرتادها المشـاهير والسود الأمريكيون بحثاً عـن أصولهـم ومعرفة مـا كان يلاقيه أجدادهم من معاناة قاسـية يندى لها جبين الإنسـانية، وذلك في نفس المكان الذي يحشر فيه العبيد مصنفين إلى مجموعـات مـن الأطفال والفتيات والبالغين، وهم يرسـفون في قيود الحديد ويتنازعـون طبـق الطعام اليومي الوحيد الذي يقـدم لهم، وكيف أن المرضى في السفن يقذفون في المحيط طعاماً للحيتان، ومن هذه الجزيرة كان يصدر معظـم الرقيـق إلى العالم الجديـد، وفي غانا وبقيـة أفريقيا السـاحلية على المحيـط الأطلسـي يكثر العديد من القلاع التي يجمـع فيها الرقيق الأفريقي بأسوأ حال لأسوأ مآل ينتظرهم.

الصـورة الثانيـة: عندما رفعت شـكوى لملك البرتغال من ارتيـاد المنصرين لتجـارة الرقيـق جاء الأمر الملكي موافقاً لرأي لجنة التنصير ببرشـلونة بأن يمارس المنصرون تجارة الرقيق سـداً لحاجاتهم المالية، وحدد حجم تلك[1] التجارة بـ(700 رقيق) في العام الواحد، وذلك عام (1105هـ/1693م).

الصـورة الثالثـة: قامـت سـفن مينـاء مدينـة ليفربـول البريطانيـة وحدها بـين عامـيّ (1198 – 1208هـ/ 1783 – 1793م) بــ(878 رحلـة) بحريـة عـبر المحيـط الأطلسـي نقلـت خلالهـا (303.733عبـداً)، بأربـاح تجاوزت (15 مليون) جنيه إنجليزي ذهبي.[2]

وكانت العادة أن (35 %) من العبيد المحمولين يموتون بسـبب سوء المعاملة والتحميـل في السـفن، والتـي تشـبه إلى حد كبير أسـلوب نقـل البهائم اليوم

---

(1) مجلة الأمة، ص48.

(2) عبدالرحمن السميط ، ص11.

بالوسائل الحديثة. هذا في الطريق إلى الأرض الجديدة أما من يصلها منهم حياً فإن ما ينتظره أسوأ بألف مرة في ظل القهر والظلم والاستعباد مما يدفع كثيراً من مجتمعات العبيد المسلمين الذين جلبوا من أفريقيا إلى تلك العوالم إلى الثورة على ظلم السيد الأبيض.

سادساً: أدى انهيار الدور الحضاري للتجار المسلمين في نشر الإسلام بأفريقيا إلى تفكك الوحدة التي كانت تضم المسلمين هناك في أشكالها المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وفي ظني أن هذا بسبب أن الاستعمار عندما حل في بلاد المسلمين جاء من دول أوروبية مختلفة نقلت بدورها ما بينها من تنافس وصراع في قارتها إلى بلاد المسلمين، مما أدى لتمزيق ولاءات المسلمين بين بعضهم البعض، وقطع السبل بين المسلمين والدعاة والتجار.

ويمكن أن يقاس هذا الحال على حال المنظمات التنصيرية في الساحة الإسلامية التي كانت متعددة المذاهب والاتجاهات السياسية والأهداف الدينية وهي مع ذلك متنافسة متنازعة فانعكس هذا على المجتمع الذي تعمل فيه فمزقت وشائج نسيجه وشتتت أبناءه.

هذا الوضع الذي أفرزه واقع الاستعمار البغيض، وجيوش المنصرين معه دفع إلى ظهور الحاجة إلى حركة إصلاح شامل تقيم دولة إسلامية صالحة مجاهدة ترد عاديات الأعداء، فظهرت في القارة الأفريقية -مثلاً- حركة إصلاحية شهيرة بقيادة الشيخ (عثمان دان فوديو) في نيجيريا بين قبائل الهوسا أولاً ثم شملت الغرب الأفريقي كله انتشاراً وأثراً حيث استطاع هذا المصلح المجاهد أن يقيم دولة إسلامية سلفية مرهوبة الجانب أعادت إلى الأذهان الدول الإسلامية الكبرى في غرب أفريقيا في العصور الوسطى وكان قيامها في القرن (12هـ/18م) ويعتقد على نطاق واسع أن هذه

الحركـة الإصلاحية قـد تأثرت بأهدافهـا وبأفكارها وأسـلوب عملها بدعوة (الشـيخ محمد بن عبدالوهاب) السـلفية في الجزيرة العربية. على أن هذه الحركـة لم تكـن الأولى ولا الأخـيرة في الحياة الأفريقية فقد سـبقتها جهود مباركـة ذات اتجـاه سـلفي بذلـت ما اسـتطاعت في إصلاح البيـت الأفريقي ومحاربة البدع والخرافات وتقديس القبور والعمل على مجاهدة الاسـتعمار والتنصير في أفريقيا.

كمـا حدثـت حـركات إصلاحية متعـددة ومتفاوتة الأثر في الجناح الشـرقي مـن العـالم الإسـلامي في الهنـد وأندونيسـيا والفلبـين وغيرهـا. والتـي كان للتجار العرب المستوطنين هناك دورٌ لا ينكر في حفز الهمم ومباركة الجهود ودعمها مادياً ومعنوياً.

الخاتمة

إن تفعيل دور التجار في الدعوة إلى الله هو استجابة لنداء الإسلام لتحقيق مفهوم الأمة الواحدة والجسد الواحد، والمشاركة الجماعية للنهوض بالأمة الإسلامية، وإبعاد المسلمين عن الروح الفردية التي طالما أضرت بالأمة.

ولعل القارئ الكريم ظن كما ظننت –في البداية– أن دور التاجر في نشر الإسلام لم يتعد حرصه على إدراج العدد الأكثر من المسلمين الجدد، وأرجو أن يخرج القارئ بعد قراءة الكتاب بقناعة مماثلة لقناعتي، وهي: أن أولئك الأبطال المجهولين من التجار كانوا يمارسون نشاطهم ضمن مفهوم حضاري لم يغفل أي ناحية من نواحي حياة المجتمعات التي تاجروا معها لإصلاحها، فبدلوا العقائد، وعدلوا السلوك، وعربوا الألسن، وأسلموا الأنظمة.

وإذا كان القارئ المفضال قد خرج بالانطباع السابق لأثر التجار في تلك المجتمعات فإن هدف البحث في تمثيل ذلك الدور للتجار قد تحقق في ذهن الأجيال المعاصرة.

على أنني أود التأكيد على النقاط المهمة الآتية:

- أن التاجر المسلم لم يكن عالماً ولا حتى داعية متفرغاً للدعوة في أكثر الأحوال، وإنما كان بكل بساطة مسلماً ملتزماً بدينه مخلصاً في تبليغه للعالمين بأخلاقه وتعامله.

- أن القدوة الحسنة هي العامل الجذاب والسلاح المؤثر الذي كان يملكه التاجر المسلم في مخالطته للشعوب غير المسلمة.

- لم يكن أسلوب تأثير التجار متخماً بالخطب الرنانة والمواعظ المبكية، وإنما هي دعوة أخلاقية بأسلوب سلمي ناعم.

- استخدام التجار المسلمين الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ومعاملة لطيفة

جذابة وتودداً في التوجيه والتعليم، مع حسن في المظهر في مخالطتهم مع السكان الأصليين.

– لم يكن التجار المسلمون يكتفون بإدخال الناس في الإسلام ثم يمضون ويتركونهم بل كانوا يرعون تلك النبتة الطرية والهمم الواعدة من خلال المشاريع الحضارية بتأسيس المساجد، وبناء المؤسسات التربوية والتعليمية، ووقف الأوقاف النافعة عليها.

– حرص التجار المسلمين على إيصال الإسلام إلى جميع فئات المجتمع من ساسة وعامة، وقد ساعدتهم مكانتهم الاجتماعية المتوسطة بين الفئتين على لعب دور فعال في هذا المجال والتأثير في جميع فئات الشعوب التي خالطوها.

– لم ينل جهد التجار في نشر الإسلام على ضخامته ووضوح أثره، الجهد المناسب للتنسيق وفق المفهوم العصري، ولكن وحدة الهدف والشعور بأمة الجسد الواحد التي سرت في وجدان المجتمع المسلم قد أسهمت بحظ وافر في تجميع الجهود وتوجيهها الوجهة السليمة لصالح الدعوة للإسلام بتضافر جميع فئاته وطبقاته ومؤسساته.

أهم المراجع

الكتب

1- أبو العباس ابن خلكان، وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت.

2- أحمد بن عبدالله ابن حنبل، المسند.

3- الأقليات المسلمة في العالم ظروفها المعاصرة آلامها وآمالها، أبحاث المؤتمر العالمي السادس، المنعقد في الرياض في الفترة من (12- 17 جمادى الأولى 1406هـ).

4- بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 1404هـ

5- بريان هاريسون، موجز تاريخ جنوب شرق آسيا، مطبعة الكيلاني الصغير، القاهرة.

6- جمال الدين أبو الفرج الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ.

7- حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، 1407هـ.

8- حسين مؤنس، الإسلام الفاتح، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، 1401هـ.

9- الدعوة الإسلامية الوسائل، الخطط، المداخل، أبحاث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المنعقد في نيروبي بكينيا في الفترة (من 26 جمادى الآخرة –إلى 1 رجب 1402هـ)، الطبعة الأولى، الرياض، 1405هـ.

10- سير توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط3، القاهرة، 1970م.

11- شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، بيروت، 1406هـ.

12- شهاب الدين المقري التلمساني، نفح الطيب، دار صادر، بيروت.

13- شوقي عبدالقوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (41-904هـ/661-1498م) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ذو الحجة 1410هـ.

14- عبدالرحمن السميط، رحلة خير في أفريقيا، الطبعة الأولى، 1404هـ.

15- عبدالسلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، دار البحوث العلمية، ط6، الكويت، 1399هـ.

16- عبدالقادر محمد سيلا، المسلمون في السنغال، الطبعة الأولى، الدوحة، شوال 1406هـ.

17- علوي بن طاهر الحداد، المدخل إلى تاريخ الإسلام في المشرق الأقصى، الطبعة الأولى، عالم المعرفة، جدة، 1405هـ.

18- علي بن عبدالله السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العربية، بيروت، ط1، 1419هـ أبو الفضل أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثانية، حيدر أباد (الهند)، (207/3).

19- عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط1، الرياض، 1412هـ.

20- غوستاف لوبون، حضارة العرب، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

21- قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني، الرياض، 1967م.

22- محمد رشيد الفيل، أثر التجارة والرحلة في تطوير المعرفة الجغرافية عند العرب، ضمن بحوث المؤتمر الجغرافي.

23- محمد سعيد عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، 1980م.

24- محمد عبدالقادر أحمد، المسلمون في غينيا، الطبعة الأولى، القاهرة، 1406هـ.

25- محمود شاكر، فطاني، المكتب الإسلامي، بيروت.

26- المسلمون الصينيون من هم؟ وأين هم؟ إصدار مجلة بناء الصين، ط1، يناير 1983م.

27- المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت.

28- ول ديورانت، قصة الحضارة. طبعة الجامعة العربية.

29- ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت.

الصحف والدوريات

1- صحيفة الشرق الأوسط

2- مجلة الأمة

3- مجلة الدارة

4- مجلة الفيصل

5- مجلة المجلة

6- مجلة تاريخ العرب والعالم

قائمة كتاب المجلة العربية

اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
الإسلام والغرب حوار.. لا صراع	د. سعيد عطية أبوعالي	محرم 1418هـ/ مايو 1997م	240
إساءة معاملة الأطفال تلمس الأسباب والظروف	د. عبدالعزيز بن عبدالله الدخيل	صفر 1418هـ/يونية1997م	241
أضرار الجوال بين الحقيقة والخيال	م. عبدالله بن حمد الكثيري	ربيع الأول 1418هـ/يوليو1997م	242
الأسلحة الكيميائية والجرثومية خطر في وجه الحضارة	د. عبدالعزيز بن علي الخضيري	ربيع الآخر 1418هـ/أغسطس1997م	243
من يشتري الضحك والفرح ؟!	عبد الله الجفري	جمادى الأولى 1418هـ/سبتمبر1997م	244
الملك عبدالعزيز ومراسلاته	د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	جمادى الآخرة 1418هـ/اكتوبر1997م	245
دمج المعاقين مع الأطفال الأسوياء	د. فوزية أخضر	رجب 1418هـ / نوفمبر 1997م	246
المؤتمر العام السادس والمجلس التنفيذي الثامن عشر للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة	عبد الرحمن محمد	شعبان 1418هـ/ديسمبر1997م	247
أيام العار	جون سوين/ ترجمها منصور الخريجي	رمضان 1418هـ/يناير 1998م	248
الإنترنت تقنيات وخدمات	د. عبدالقادر بن عبدالله الفنتوخ	شوال1418هـ/فبراير1998م	249
الأكل الوسطي وحكاية هرمين	د. عدنان سالم باجابر	ذوالقعدة 1418هـ/ مارس1998م	250
الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله	د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي	ذو الحجة1418هـ/ ابريل1998م	251
الماء ثروة الحاضر.. وأمل المستقبل	د. أحمد عبدالقادر المهندس	محرم 1419هـ/يونيو1998م	252
المتقاعدون ووقت الفراغ	عبد العزيز بن علي الغريب	صفر1419هـ/يونيو1998م	253
فاعلية الأغذية الوارد ذكرها في القران الكريم	د. رافده الحريري	ربيع الأول 1419هـ/يوليو1998م	254
القاعدة والاستثناء في الإعلام والسياسة	د.فؤاد بن عبدالسلام الفارسي	ربيع الآخر 1419هـ/أغسطس1998م	255
الكتابة للأطفال لماذا ... ماذا نكتب وكيف ؟	محمد سعيد المولوي	جمادى الأولى 1419هـ/ سبتمبر 1998م	256
مسؤولية الإعلام في تأكيد الهوية الثقافية	د. ساعد العرابي الحارثي	جمادى الآخرة 1419هـ/اكتوبر1998م	257
الأيام الثقافية للجامعات السعودية في رحاب الجامعات المغربية	المجلة العربية	رجب 1419هـ/نوفمبر1998م	258
الفياجرا شاغلة العالم !	جلال محمد حمام	شعبان1419هـ/ديسمبر1998م	259
العمل الاجتماعي التطوعي في المملكة العربية السعودية	عبد الله العلي النعيم	رمضان1419هـ/يناير 1999م	260

اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
قراءة في فكر الملك عبدالعزيز	بدر بن أحمد كريم	شوال 1419هـ/فبراير1999م	261
الجودة ومواصفة آيزو 9000	د. إبراهيم بن علي الخضير	ذو القعدة1419هـ/ مارس1999م	262
أرقامنا العربية الأصيلة	د. إبراهيم احمد مسلم الحارثي	ذوالحجة 1419هـ/ابريل1999م	263
القلق (مرض العصر) كيف يعالجه القران ؟	د. زهير أحمد السباعي	محرم 1420هـ/مايو1999م	264
تعليم الفتاة بين التفرد والمحاكاة	د. علي بن مرشد بن محمد المرشد	صفر1420هـ/يونيو1999م	265
الشيخ ابن باز (يبكيك محراب يئن ومنبر)	المجلة العربية	ربيع الأول1420هـ/يوليو1999م	266
الإمارة وتنمية السياحة	الأمير خالد الفيصل	ربيع الآخر 1420هـ/ أغسطس999م	267
في تأهيل الأدب الإسلامي نحو رواية إسلامية	د. حلمي محمد القاعود	جمادى الأولى1420هـ/سبتمبر1999م	268
الأدب المقارن في ضوء الرؤية العربية والإسلامية	محمود رداوي	جمادى الآخرة1420هـ/اكتوبر1999م	269
منظمة التجارة العالمية واستحقاقات العضوية	أ . أسامة بن جعفر فقيه	رجب 1420هـ/نوفمبر 1999م	270
مجلس التعاون الخليجي رؤية متابع	أحمد محمد سالم	شعبان1420هـ/ديسمبر1999م	271
الإسلام والغرب والدور السعودي في إقامة حوار بناء بينهما	د. عبدالعزيز بن إبراهيم السويل	رمضان1420هـ/يناير2000م	272
الترويح دوافعه - آثاره - ضوابطه	عبد الله بن ناصر السدحان	شوال1420هـ/فبراير 2000م	273
أمراض القلب والوقاية منها	أ.د. منصور محمد النزهة	ذوالقعدة1420هـ/فبراير2000م	274
العالم الإسلامي	محمد بن ناصر العبودي	ذو الحجة1420هـ/ابريل2000م	275
ضياع الهوية في الفضائيات العربية	د. عائض الردادي	محرم1421هـ/مايو2000م	276
البلاستيك وصحة الإنسان	د. محيي الدين عمر لبنية	صفر1421هـ/مايو2000م	277
منهج التربية الإسلامية في ملء أوقات الفراغ	د. عثمان سيد أحمد خليل	ربيع الأول1421هـ/يونيو2000م	278
المرأة كيف عاملها الإسلام	الشيخ/حسن بن عبدالله آل الشيخ	ربيع الآخر1421هـ/يوليو2000م	279
الفكاهة في أدب الشيخ علي الطنطاوي	أحمد علي آل مريع	جمادى الأولى1421هـ/أغسطس2000م	280
مشكلة المياه وآفاق مستقبلها في المملكة العربية السعودية	أ.د. خالد بن عبدالرحمن الحمودي	جمادى الآخرة1421هـ/سبتمبر2000م	281
حقوق الإنسان في الإسلام	الشيخ/صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ	رجب1421هـ/اكتوبر2000م	282
الجاسر علاّمة وعلامة	د. عبدالله مناع	شعبان1421هـ/نوفمبر2000م	283

اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
المردود الإيجابي للتفاعل التعليمي بين المعلم وطلابه	عبدالله بن مراد العطرجي	رمضان1421هـ/ديسمبر2000م	284
تجربة اليونسكو: دروس الفشل	د. غازي القصيبي	شوال1421هـ/يناير2001م	285
الفصيح مما أضاعه المشارقة وحفظه المغاربة	حماد بن حامد السالمي	ذوالقعدة1421هـ/فبراير2001م	286
صفحات من حياة الفقيد العلم الزاهد الشيخ محمد بن عثيمين	أ.د.عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار	ذوالحجة1421هـ/مارس2001م	287
الصناعة السعودية عام 1430هـ(2010م) رؤية مستقبلية	م. عبدالله بن يحيى المعلمي	محرم1422هـ/أبريل2001م	288
مشكلة العنوسة الأسباب والعلاج	رفعت محمد طاحون	صفر1422هـ/مايو2001م	289
الطب الشعبي حقائق وخرافات	د. حسام الدين أبو السعود	ربيع الأول1422هـ/يونيو2001م	290
العربية لغة الوحي .. والوحدة	محمد عبدالشافي القوصي	ربيع الآخر1422هـ/يوليو2001م	291
حقيقة النوم وقفات وتأملات	يوسف محمد أبو عود	جمادى الأولى1422هـ/أغسطس2001م	292
دور المدرسة في تربية النشء وبناء المجتمع	د. علي بن مرشد المرشد	جمادى الآخرة1422هـ/سبتمبر2001م	293
مشكلات طفلك الصحية في عامه الأول وحلولها	د. محمد مصطفى السمري	رجب1422هـ/أكتوبر2001م	294
مفهوم العمل في الإسلام	حسين بن عبدالله بانبيله	شعبان1422هـ/نوفمبر2001م	295
الإسلام وأزمة الإنسان المعاصر	د. محمد عبدالمنعم خفاجي	رمضان1422هـ/ديسمبر2001م	296
النظم العدلية الثلاثة (وزارة العدل)	أخرجه : عبدالقادر باقي زاده	شوال1422هـ/يناير2002م	297
الأديب عبدالكريم الجهيمان عطاء لا ينضب	محمد بن عبدالرزاق القشعمي	ذوالقعدة1422هـ/فبراير2002م	298
الشخصية الإسلامية سمات وتحديات	طه محمد كسبه	ذوالحجة1422هـ/مارس2002م	299
الشعر والأخلاق في تراث العرب النقدي	د. جعفر حسن الشكرجي	محرم1423هـ/أبريل2002م	300
الشورى في النظام الإسلامي ومقارنتها بالنظم الأخرى	الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير	صفر1423هـ/يونيو2002م	301
من أجل تصحيح صورة الإسلام في الغرب	د. حسن عزوزي	ربيع الأول1423هـ/يونيو2002م	302
مقاييس الجمال في تجربة العميان الشعرية	د. عبدالله بن أحمد الفيفي	ربيع الآخر1423هـ/يوليو2002م	303
تعليم اللغة الانجليزية في المملكة العربية السعودية	جاسم بن أحمد الجاسم	جمادى الأولى1423هـ/أغسطس2002م	304
اصطخاب المفردات كلام يدخل في التخاطب لا الخطب !!	أحمد بن عبدالرحمن العرفج	جمادى الآخرة1423هـ/سبتمبر2002م	305
الطب النبوي بين الإبداع الصحي والطب الوقائي	حسين محي الدين سباهي	رجب 1423هـ/أكتوبر2002م	306

اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
العلاقة بين الرضا الوظيفي والأداء المهني للصحفيين	د. عبدالعزيز بن علي المقوشي	شعبان 1423هـ/نوفمبر2002م	307
من وسائل وأساليب التربية النبوية	د. صالح بن علي أبوعراد	رمضان1423هـ/نوفمبر2002م	308
من حلل الشعراء وحيلهم الفنية	حجاب بن يحيى الحازمي	شوال1423هـ/يناير2003م	309
الحب بين الأدب والطب	د. غالب خلايلي	ذوالقعدة1423هـ/فبراير2003م	310
شبهات وأباطيل حول الطلاق والرد عليها	رفعت محمد مرسي طاحون	ذوالحجة1423هـ/فبراير2003م	311
وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية	أ.د.علي بن إبراهيم الحمد النملة	محرم1424هـ/مارس2003م	312
الأدب العربي في المملكة في عهد خادم الحرمين الشريفين	د. حسن بن فهد الهويمل	صفر1424هـ/ابريل2003م	313
الغذاء ودوره في تنمية الذكاء	د. نبيل سليم علي	ربيع الأول1424هـ/مايو2003م	314
الأديب محمد بن أحمد العقيلي لمحات من سيرته	مجاهد باعشن	ربيع الآخر1424هـ/يونيو2003م	315
جذور الحملة الإعلامية على الإسلام والسعودية وصراع الهويات	د. فهد العرابي الحارثي	جمادى الأولى1424هـ/يوليو2003م	316
أفكار في شعر الإمام الشافعي	عبدالله الجعيثن	جمادى الآخرة1424هـ/أغسطس2003م	317
أهم أحداث المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها عام 1319هـ حتى 1424هـ	مساعد بن عبدالله الجنوبي	رجب1424هـ/سبتمبر2003م	318
أبو تراب الظاهري العالم الموسوعة أو سيبويه العصر	علوي طه الصافي	شعبان1424هـ/أكتوبر203م	319
وقفات مع الأستاذ عبدالله القرعاوي في ذكرياته	عبدالعزيز بن عبدالله السالم	رمضان1424هـ/نوفمبر2003م	320
المنهج العلمي في القران الكريم	محمد فيض الله الغامدي	شوال1424هـ/ديسمبر2003م	321
هل ينقرض الدبلوماسيون في حقبة العولمة؟	د. غازي بن عبدالرحمن القصيبي	ذوالقعدة1424هـ/يناير2004م	322
الحوار بين الثقافات والحضارات ضرورة	إبراهيم نويري	ذوالحجة1424هـ/يناير2004م	323
المرأة في الفتوحات الإسلامية	عبدالله بن ناصر الحديب	محرم1425هـ/فيراير2004م	324
الأستاذ شيخ النقاد عبدالله عبدالجبار وماذا بعد عنه ؟!	عبدالله بن عبدالرحمن الجفري	صفر1425هـ/أبريل2004م	325
حسن صيرفي قراءة في جغرافية إنسان	محمد الدبيسي	ربيع الأول1425هـ/مايو2004م	326
العبقرية وأسسها الأربعة	فهد بن عامر الأحمدي	ربيع الآخر1425هـ/يونيو2004م	327
الإدارة الإلكترونية وتطبقاتها أنموذج إداري جديد	د. محمد حسن مفتي	جمادى الأولى1425هـ/يوليو2004م	328
مواجهة الفقر المشكلة وجوانب المعالجة	أ.د. علي بن إبراهيم النملة	جمادى الآخرة1425هـ/أغسطس2004م	329

اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
مكامن الخلل في العملية التربوية	عبيد بن عبدالله السويهري	رجب1425هـ/سبتمبر2004م	330
التجربة المعاصرة للتنظيم الإداري بالمملكة العربية السعودية	حسن بن محمد الشيخ	شعبان1425هـ/أكتوبر2004م	331
الوسائل المفيدة للحياة السعيدة	الشيخ عبدالرحمن ناصر السعدي	رمضان1425هـ/نوفمبر2004م	332
الإعجاز الطبي في القران والسنة والجديد في علم الطب	د. حسان شمسي باشا	شوال1425هـ/ديسمبر2004م	333
أهمية حماية الهواء وطبقة الأوزون من أخطار التلوث	د. محمود درويش	ذوالقعدة1425هـ/يناير2005م	334
العمل برؤية إيمانية	علي مدني الخطيب	ذوالحجة1425هـ/فبراير2005م	335
منهج الجدل وآداب الحوار في الفكر الإسلامي	أ.د.بركات محمد مراد	محرم1426هـ/فبراير2005م	336
الأسبرين حكاية بلا نهاية	د. محيى الدين عمر لبنيه	صفر1426هـ/مارس2005م	337
أحمد السباعي رائد الأدب والصحافة المكية	محمد عبدالرزاق القشعمي	ربيع الأول1426هـ/أبريل2005م	338
إطلالة على المشهد الثقافي في المملكة العربية السعودية	حسين محمد بافقيه	ربيع آخر1426هـ/مايو2005م	339
ذاكرة العراق التاريخية والحضارية	علوي طه الصافي	جمادى الأولى1426هـ/يونيو2005م	340
أم القرى خصوصية المكان والعمران	د.م. يحيى حسن وزيري	جمادى الآخرة1426هـ/يوليو2005م	341
الحفاظ على البيئة من منظور إسلامي	عبدالعزيز بن سعد الدغيثر	رجب1426هـ/أغسطس2005م	342
الدور الأمني للمؤسسات التربوية والثقافية	أ. حجاب بن يحيى الحازمي	شعبان1426هـ/سبتمبر2005م	343
الضمانات الشرعية لحماية الأسرة في الإسلام	علي مدني رضوان الخطيب	رمضان1426هـ/أكتوبر2005م	344
الأدب الوجداني إبداع وفرسان	فوزي خياط	شوال1426هـ/نوفمبر2005م	345
الإدارة السوية وحمايتها من الضغوط الحياتية	أ.د. نبيل سليم علي	ذوالقعدة1426هـ/ديسمبر2005م	346
الحج :أحكام وأسرار قراءة تأملية في شعائر الحج ومناسكه	سالم بن عبدالله الشهري	ذوالحجة1426هـ/يناير2006م	347
جمع الجواهر في الملح والنوادر	د.عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	محرم1427هـ/فبراير2006م	348
مكة المكرمة أهمية الدور والمكان	د.عمر بن يحيى محمد	صفر1427هـ/مارس2006م	349
الإبداع والتحديث في فكر سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد 1329/1402هـ	د. صالح بن عبدالله بن حميد	ربيع الأول1427هـ/أبريل2006م	350
الزمان يزور المكان	د.غازي بن عبدالرحمن القصيبي	ربيع الآخر1427هـ/مايو2006م	351

اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
رثاء الزوجة في الشعر العربي الحديث	حسني سيد لبيب	جمادى الأولى1427هـ/يونيو2006م	352
مشاعر أب في رسائل حرّى	د، إبراهيم بن مبارك الجوير	جمادى الآخرة1427هـ/يوليو2006م	353
رؤية في الفساد والجريمة	سليمان بن محمد الجريش	رجب1427هـ/أغسطس2006م	354
الحكومة الإلكترونية دراسة للتجربة التقنية المعلوماتية في المملكة العربية السعودية	حسن بن محمد الشيخ	شعبان1427هـ/سبتمبر2006م	355
آفاق المناجاة في شعر الدكتور سعد بن عطيه الغامدي	علي بن محمد العمير	رمضان1427هـ/أكتوبر2006م	356
الفقه الإسلامي أهميته والعناية بمصادره وأهله	د،عبدالله بن عبدالمحسن التركي	شوال1427هـ/نوفمبر2006م	357
المستشرقون بين الوفاء والافتراء	رفعت محمد طاحون	ذوالقعدة1427هـ/ديسمبر2006م	358
نحو خطاب لساني نقدي عربي أصيل	فاتح زيوان	ذوالحجة1427هـ/يناير2007م	359
المواقع الأثرية والتراث الثقافي بالمملكة العربية السعودية	ناصر بن محمد الحميدي	محرم1428هـ/فبراير2007م	360
الطائفية والتفكيك بعد سقوط بغداد	د . عايض الردادي	صفر1428هـ/مارس2007م	361
شنين الدموع	د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	ربيع الأول1428هـ/أبريل2007م	362
وميض من قبس الإسلام	د. رافدة بنت عمر الحريري	ربيع الآخر1428هـ/مايو2007م	363
الثوابت والمتغيرات في المجتمع السعودي	الأمير الدكتور فيصل بن مشعل بن سعود ابن عبدالعزيز آل سعود	جمادى الأولى1428هـ/يونيو2007م	364
هاملتون جيب وكتابة الاتجاهات الحديثة في الإسلام	زكي بن عبدالله الميلاد	جمادى الآخرة1428هـ/يوليو2007م	365
لمحات في التربية الإسلامية	بهاء الدين عبدالله الزهوري	رجب1428هـ/أغسطس2007م	366
موقع العقل في ظل التشريع	رغداء محمد زيدان	شعبان1428هـ/سبتمبر2007م	367
الإسلام بين العالمية والعولمة	د . خالد احمد حربي	رمضان1428هـ/أكتوبر2007م	368
مقدمة في الشعر الياباني	علاء الدين رمضان	شوال1428هـ/نوفمبر2007م	369
الترجمة رؤية في الواقع العربي	د. محمد بن عبدالله العبد اللطيف	ذوالقعدة1428هـ/ديسمبر2007م	370
من سجن الأسطورة إلى رحم التاريخ	د فاطمة الياس	ذوالحجة1428هـ/يناير2008م	371
مفهوم الشعر عند ابن سينا	علي العلوي	محرم1429هـ/يناير2008م	372
اغتراب الثقافة الكل عن المجتمع الكيان	د علي بن حمد الخشيبان	صفر1429هـ/فبراير2008م	373

اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
الأغذية المعدلة وراثيا مالها وما عليها	د عبدالعزيز بن ابراهيم العثيمين	ربيع الأول1429هـ/مارس2008م	374
النحو في عصر العولمة	د. فالح بن شبيب العجمي	ربيع الآخر1429هـ/أبريل2008م	375
تقاليد الكرم عند العرب	محمد السموري	جمادى الأولى1429هـ/مايو2008م	376
الكنتية خطاب السيرة الذاتية	أحمد علي آل مريع	جمادى الآخرة1429هـ/يونيو2008م	377
من تراثنا الحديث في اللغة والفكر والحضارة	عبد الله العلايلي وآخرون	رجب1429هـ/يوليو 2008م	378
ثقافة التعليم الالكتروني	د.زكريا يحيى لال	شعبان1429هـ/أغسطس2008م	379
الصحافة المطبوعة في عصر الملتيميديا	د. عثمان بن محمود الصيني	رمضان1429هـ/سبتمبر2008م	380
التجربة الشعرية الجديدة في السعودية	د. عالي بن سرحان القرشي	شوال1429هـ/اكتوبر2008م	381
المصطلح الإيقاعي في التراث الأدبي / القافية نموذجا	فريد محمد أمعضشو	ذوالقعدة1429هـ/نوفمبر2008م	382
معركة الشعر المنثور في الصحافة السعودية قبل نصف قرن	محمد بن عبدالرزاق القشعمي	ذوالحجة1429هـ/ديسمبر2008م	383
رواد الغناء في الجزيرة العربية من الشفوية إلى التسجيل	أحمد الواصل	محرم 1430هـ/يناير 2009م	384
قراءة في الظواهر التمثيلية العربية	سامي عبداللطيف الجمعان	صفر 1430هـ/فبراير 2009م	385
الأدب في البرازيل رؤية ومختارات	د . رشا احمد إسماعيل	ربيع الأول1430هـ/مارس2009م	386
أدب المدونات	شاكر لعيبي	ربيع الآخر1430هـ/أبريل2009م	387
الثقافة الأفقية وموت النخبة	د فهد العرابي الحارثي	جمادى الأولى1430هـ/مايو2009م	388
رحلة الأدب العربي الحديث إلى الإنجليزية	د.موسى أحمد الحالول	جمادى الآخرة1430هـ/يونيو2009م	389
مترجمو ألف ليلة وليلة	سيلفانا الخوري	رجب1430هـ/يوليو 2009م	390
رحلة الكتاب في الحضارة الإسلامية	محمد رجب السامرائي	شعبان1430هـ/أغسطس2009م	391
النسبية وما بعدها (ألبرت آينشتاين ،ستيفن ،مايكل)	د.عبدالله نعمان الحاج	رمضان1430هـ/سبتمبر2009م	392
مذكرات أبي القاسم الشابي	د. نور الدين صمود	شوال1430هـ/اكتوبر2009م	393
العولمة والأدب العربي المعاصر	د.أسامة محمد البحيري	ذوالقعدة1430هـ/نوفمبر2009م	394
مالك بن نبي في ذاكرة عبدالسلام الهراس	د . محمد البنعيادي	ذوالحجة1430هـ/ديسمبر2009م	395
رحلة إلى الحجاز	إبراهيم عبدالقادر المازني	محرم 1431هـ/يناير 2010م	396

اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
قصائد أعجبتنا من غازي القصيبي	غازي بن عبدالرحمن القصيبي	صفر 1431هـ/فبراير 2010م	397
البيروقراطية وإدارة المعرفة	د عبدالله مسفر الوقداني	ربيع الأول1431هـ/مارس2010م	398
النص السردي الأندلسي مداخل لقراءة جديدة	إبراهيم الحجري	ربيع الآخر1431هـ/أبريل2010م	399
أوراق منير العجلاني	منير العجلاني	جمادى الأولى1431هـ/مايو2010م	400
الألعاب في النظرية الأدبية	فارغا سلطان ترجمة عثمان الجبالي	جمادى الآخرة1431هـ/يونيو2010م	401
عالم الكتابة القصصية للطفل	عبد الباقي يوسف	رجب1431هـ/يوليو 2010م	402
أثر المرجعية الفكرية في تحليل الخطاب اللغوي	فاتح زيوان	شعبان1431هـ/أغسطس2010م	403
بدر الكبرى المدينة والغزوة	د. محمد عبده يماني	رمضان1431هـ/سبتمبر2010م	404
في الفكر الخلدوني	يوسف الحناشي	شوال1431هـ/اكتوبر2010م	405
ميغيل آسين بلاثيوس رائد الاستعراب الاسباني المعاصر	محمد عبدالرحمن القاضي	ذوالقعدة1431هـ/نوفمبر2010م	406
الشعر في المدينة المنورة بين القرنين 12 –14هـ	د . عاصم حمدان	ذوالحجة1431هـ/ديسمبر2010م	407
الرواية العربية والفنون السمعية البصرية	د . حسن لشكر	محرم 1432هـ/يناير 2011م	408
بدايات تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية	محمد عبدالرحمن القشعمي	صفر 1432هـ/فبراير 2011م	409
التحيز العربي للنقد الغربي	د.علي حمادي صديقي	ربيع الأول1432هـ/فبراير2011م	410
اليد واللسان	عبدالله محمد الغذامي	ربيع الآخر1432هـ/أبريل2011م	411
علم الحوار الاسلامي	د خالد أحمد حربي	جمادى الأولى1432هـ/مايو2011م	412
الموسوعات الفردية	د علي ابراهيم النملة	جمادى الآخرة1432هـ/يونيو2011م	413
تاريخ الهايكو الياباني	ريو يوتسويا ترجمة سعيد بوكرامي	رجب1432هـ/يونيو2011م	414
أدب الرحلات النبيلة	محمد منصور	شعبان1432هـ/يونيو2011م	415
الحطاب الافتتاحي في القران الكريم	د عبدالملك أشهبون	رمضان1432هـ/أغسطس2011م	416
السيرة الذاتية مقاربة الحد والمفهوم	أحمد علي آل مريع	شوال1432هـ/سبتمبر2011م	417
الجاحظ في مرآة أبي حيان	ابراهيم صبري راشد	ذوالقعدة1432هـ/أكتوبرر2011م	418
الإسلام وحقوق الانسان	زكي الميلاد	ذوالحجة1432هـ/نوفمير2011م	419

اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
التراث العلمي العربي وقاماته	صلاح الشهاوي	محرم 1433هـ/ديسمبر 2011م	420
حساسية الوائي وذائقة المتلقي	عبدالباقي يوسف	صفر1433هـ/يناير2012م	421
وفيات المثقفين 2011	المجلة العربية	ربيع الأول1433هـ/فبراير2012م	422
الإسهام الإسلامي في التجديد الفلسفي للقرن 12م	خواكين لومبا فوينتيس	ربيع الآخر1433هـ/مارس2012م	423
في ثياب الاعرابي الأصمعي إمام الأنثروبولوجيا العربية	فاضل الربيعي	جمادى الأولى1433هـ/ابريل2012م	424
شعر الجن في التراث العربي	د. عبدالله سليم الرشيد	جمادى الآخرة1433هـ/مايو2012م	425
رندة الإسلامية أمنع حصون الأندلس الجنوبية	محمد القاضي	رجب1433هـ/يونيو2012م	426
مديح الأسئلة الصعبة ألغاز العلم المحيرة	د. عبدالله الحاج	شعبان1433هـ/يوليو2012م	427
فرق العمل العلمية في الحضارة الاسلامية	د . خالد أحمد الحربي	رمضان1433هـ/أغسطس2012م	428
موجز تاريخ الأدب الأمريكي	كارثرين فان سباكرن	شوال1433هـ/سبتمبر2012م	429
المشكلات الفلسفية عند ابن حزم والبصري وابن رشد	د. بركات محمد مراد	ذوالقعدة1433هـ/أكتوبر2012م	430
السيرة لعبة الكتابة	خالد فؤاد طحطح	ذوالحجة1433هـ/أكتوبر 2012م	431
آراء إخوان الصفا وخلان الوفا إعجاب وعجب	د. رشيد الخيون	محرم 1434هـ/ديسمبر 2012م	432
كتابات السياب النثرية	د . حسن الغرفي	صفر1434هـ/يناير2013م	433
عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم	عباس محمود العقاد	ربيع الأول1434هـ/فبراير2013م	434
ابن رشد وشوق المعرفة	د . بنسالم حميش	ربيع الآخر1434هـ/مارس2013م	435
اللغة هوية ناطقة	د . عبدالله البريدي	جمادى الأولى1434هـ/ابريل2013م	436
شعر الموسوسين في العصر العباسي	د.عبدالمجيد الإسداوي	جمادى الآخرة1434هـ/مايو2013م	437
الشعر والنثر في التراث البلاغي والنقدي	عبداللطيف الوراري	رجب1434هـ/يونيو2013م	438
أثر الكوارث الطبيعية في المجال الاقتصادي بالمغرب	د. عبدالهادي البياض	شعبان1434هـ/يوليو2013م	439
الاستشراق بين منحنيين النقد الجذري أو الإدانة	د. علي إبراهيم النملة	رمضان1434هـ/أغسطس2013م	440
سجع المنثور لأبي منصور الثعالبي(350 –429هـ)	د. أسامة محمد البحيري	شوال1434هـ/سبتمبر2013م	441
العشاق الثلاثة	د. زكي مبارك (1892 1952-)	ذوالقعدة1434هـ/سبتمبر2013م	442

اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
أسس العلوم الحديثة في الحضارة الإسلامية	د . خالد حربي	ذو الحجة1434هـ/أكتوبر2013م	443
الفلسفة في فكر ابن تيمية جدل النص والتاريخ	د. أحمد محمد سالم	محرم1435هـ/نوفمبر 2013م	444
السينما والجذور	ترجمة خالد أقتعي	صفر1435هـ/ديسمبر2013م	445
الموروث الشعبي في السرد العربي	محمد عزيز العرفج	ربيع الأول1435هـ/يناير2014م	446
الطب والأدب علائق التاريخ والفن	د. عبدالله سليم الرشيد	ربيع الآخر1435هـ/فبراير2014م	447
أبو عمر أحمد بن حربون	د. عبدالله بن علي بن ثقفان	جمادى الأولى1435هـ/مارس2014م	448
المرجعية والمنهج دراسة نظرية تطبيقية	د. أحمد مرزاق	جمادى الآخرة1435هـ/أبريل2014م	449
اللغة الشاعرة	عباس محمود العقاد	رجب1435هـ/مايو2014م	450
ظاهرة التداخل الشعري في المصادر العربية	د. عبدالرزاق حويزي	شعبان1435هـ/يونيو2014م	451
رمضان ذاكرة الزمان والمكان	محمد رجب السامرائي	رمضان1435هـ/يوليو2014م	452
القدس الشريف في الاستشراق اليهودي	د محمد رضوان	شوال1435هـ/أغسطس 2014م	453
الإبداع والنبوغ	د محمد فتحي	ذوالقعدة1435هـ/سبتمبر2014م	454
الرحلة الى مكة المكرمة والمدينة المنورة (ج1)	أحمد محمود أبوزيد	ذو الحجة1435هـ/أكتوبر2014م	455
نصوص النقد الأدبي لدى حماد الراوية	د الحسين زروق	محرم 1436هـ/نوفمبر2014م	456
الحسن بن الهيثم ومآثره العلمية	د أحمد فؤاد باشا	صفر 1436هـ/ديسمبر2014م	457
النص الرقمي وإبدالات النقل المعرفي	د محمد مريتي	ربيع الأول 1436هـ/يناير2015م	458
المناخ والمجتمع	د عبدالهادي البياض	ربيع الآخر 1436هـ/فبرايرر2015م	459
الفنون الأدائية والمستقبل نحو ذاكرة الغناء السعودي	أحمد الواصل	جمادى الأولى 1436هـ/مارس2015م	460
الإنسان القروسطي	إبراهيم الحجري	جمادى الأخرة 1436هـ/ابريل2015م	461
الاسْتِغْرَاب: المَنْهَجُ فِي فَهْمِنا الغَرْبِ	د. علي النملة	رجب 1436هـ/ مايو 2015م	462
فن الترسل العربي قديما وحديثا	عبدالقادر بنعبدالله /عبدالحميد أسقال	شعبان 1436هـ/يونيو 2015م	463
أبو الطيب المتنبي	عباس العقاد	رمضان 1436هـ/ يوليو 2015م	464
الخيال وشعريات المتخيل	د.محمد الديهاجي	شوال 1436هـ/ أغسطس 2015م	465

اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
فن التأويل	ترجمة: محمد احمد عثمان	ذو القعدة 1436هـ/ سبتمبر 2015م	466
الرحلة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة (ج2)	أحمد أبو زيد	ذو الحجة1436هـ/ أكتوبر 2015م	467
نظرات في الشعر العربي	أحمد بن سليمان اللهيب	محرم1437هـ/ نوفمبر 2015م	468
عدسة التاريخ	أسامة سليمان الفليّح	صفر 1437 هـ - ديسمبر 2015	469
مقاربات علمية للمقاصد الشرعية	د. أحمد فؤاد باشا	ربيع الأول 1437 هـ - ديسمبر 2015	470
وفيات 2015	هاني الحجي	ربيع الآخر 1437 هـ - يناير 2016	471
أحمد مشاري العدواني من الأزهر الشريف إلى ريادة التنوير	حمد عبدالمحسن الحمد	جمادى الأولى 1437 هـ - فبراير 2016	472
مساجلات نقدية في الثقافة العربية المعاصرة	محمد القاضي	جمادى الآخرة 1437 هـ - مارس 2016	473
الشيخ الرئيس أبوعلي ابن سينا (توثيق ببليوجرافي)	د. أمين سليمان سيدو	رجب 1437 هـ - أبريل 2016	474
لغات جنوب الجزيرة العربية	عبدالرزاق القوسي	شعبان 1437 هـ - مايو 2016	475
شهر لا مثيل له	علاء الدين حسن	رمضان 1437 هـ - يوليو 2016	476
الجذور التاريخية لأدب الأطفال عند العرب	د. محمود إسماعيل آل عمار	شوال 1437 هـ - يوليو 2016	477
الترجمة العربية من مدرسة بغداد إلى مدرسة طليطلة	د. حسن بحراوي	ذو القعدة 1437 هـ - أغسطس 2016	478
فن كتابة القصة المصورة (comics)	صفية خالد المزيني	ذو الحجة 1437 هـ - سبتمبر 2016	479
هكذا تكلم رجاء جارودي	نادية المديوني	محرم 1438 هـ - أكتوبر 2016 م	480
مقالات الرافعي المجهولة في اللغة والأدب	وليد عبدالماجد كساب	صفر 1438 هـ - نوفمبر 2016 م	481
الترجمة وتحريف الكلم	محمد خير محمود البقاعي	ربيع الأول 1438 هـ -ديسمبر 2016م	482
التعلم المنظم ذاتياً	إبراهيم بن عبدالله الحسينان	ربيع الآخر 1438هـ -يناير 2017م	483
حركة التأليف والنشر الأدبي في المملكة العربية السعودية	خالد بن أحمد اليوسف	جمادي الأولى 1438 هـ - فبراير 2017 م	484
طيءّ الجبلان: أجا وسلمى	د. فضل عمار العماري	جمادي الآخرة 1438 هـ مارس 2017 م	485
محمد بن الحسن الشيباني: الإمام العبقري	د. هشام بن عبدالملك بن دهيش	رجب 1438 هـ - أبريل 2017 م	486
منازل النص الأدبي: مقترح النص الشعري	د. إيهاب النجدي	شعبان 1438 هـ - أبريل 2017 م	487
مقالات الرافعي المجهولة (ج2)	وليد عبدالماجد كساب	رمضان 1438 هـ - يونيو 2017 م	488

اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
السرقات الشعرية والتناص	إبراهيم بن سعد الحقيل	شوال 1438 هـ - يوليو 2017 م	489
وديع فلسطين حكايات دفتري القديم	صلاح حسن رشيد	ذو القعدة 1438 هـ - أغسطس 2017 م	490
الخط العربي	د. علي عفيفي علي غازي	ذو الحجة 1438 هـ - سبتمبر 2017 م	491
أميون شعراء فصحاء	د. أحمد بلحاج آية وارهام	محرم 1439 هـ أكتوبر 2017 م	492
أحمد زكي باشا ومخطوطات الإسكوريال	د. رشيد العفاقي	صفر 1439 هـ نوفمبر 2017 م	493
خطاب الرحلة المغربية إلى الحجاز	د. الحسن الغشتول	ربيع الأول 1439 هـ - ديسمبر 2017 م	494
مصادر القانون الدولي العام	د. هشام بن عبدالملك بن دهيش	ربيع الآخر 1439 هـ - يناير 2018 م	495
مَجمعيّات أحمد حسن الزيات	صلاح حسن رشيد	جمادى الأولى 1439 هـ - فبراير 2018 م	496
السيرة الذاتية في التراث العربي	د. أسامة محمد البحيري	جمادى الآخرة 1439 هـ - مارس 2018 م	497
مسرح الطفل	عبدالعزيز بن عبدالرحمن السماعيل	رجب 1439 هـ - أبريل 2018 م	498
الحدث ووسائل الإعلام	خالد طحطح	شعبان 1439 هـ - مايو 2018 م	499
الزوجان العالمان	أحمد إبراهيم العلاونة	رمضان 1439 هـ - يونيو 2018 م	500
كتابات الرحالة مصدر تاريخي	د. علي عفيفي غازي	شوال 1439 هـ - يوليو 2018 م	501
تحت الرماد	وليد عبدالماجد كساب	ذو القعدة 1439 هـ - أغسطس 2018 م	502
الرحلة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة	أحمد أبو زيد	ذو الحجة 1439 هـ - سبتمبر 2018 م	503
الخلفيات المنهجية في دراسات المستشرقين	د. السيد الشوربجي	محرم 1440 هـ - أكتوبر 2018 م	504
الكتابات القديمة في المملكة العربية السعودية	د. سليمان بن عبدالرحمن الذييب	صفر 1440 هـ - نوفمبر 2018 م	505
من العمامة إلى الطربوش	صدوق نور الدين	ربيع الأول 1440 هـ - نوفمبر 2018 م	506
أمثال عربية من الأندلس	د. خالد عبدالكريم البكر	ربيع الآخر 1440 هـ - ديسمبر 2018 م	507
العربية بالحروف اللاتينية	عبدالرزاق القوسي	جمادى الأولى 1440 هـ - يناير 2019 م	508
الشرق.. ملحمة العشق الإستشراقي	عبدالرحمن مظهر الهلوش	جمادى الآخرة 1440 هـ - فبراير 2019 م	509
اسهام حمد الجاسر.. في تحقيق طبقات فحول الشعراء	د. محمود بن إسماعيل عمار	رجب 1440 هـ - مارس 2019 م	510
الزميلان الصغيران.. سارتر وأرون	حسونة المصباحي	شعبان 1440 هـ - أبريل 2019 م	511

اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
العقل العلمي العربي محاولة لإعادة الاكتشاف	د. خالد قطب	مايو 2019 م – رمضان 1440 هـ	512
الذئب في العلم والتاريخ	د. فضل بن عمار العماري	يونيو 2019 م – شوال 1440 هـ	513
حركة التأليف والنشر الأدبي في المملكة العربية السعودية لعام 2018م	خالد بن أحمد اليوسف	يوليو 2019 م – ذو القعدة 1440 هـ	514
تحت الرماد.. الجزء الثاني	جمع ودراسة/وليد كساب	أغسطس 2019 م – ذو الحجة 1440 هـ	515
شعراء يرسمون وقصائد تتكلم	أحمد العلاونة	سبتمبر 2019 م – محرم 1441 هـ	516
قضية الصدق والكذب في النقد العربي	د. وليد إبراهيم قصاب	أكتوبر 2019 م – صفر 1441 هـ	517
الوافد اللغوي وطرق توظيفه في العربية	د. السيد عبدالحليم الشوربجي	نوفمبر 2019 م – ربيع الأول 1441 هـ	518
الأراجيز التاريخية الأندلسية.. دراسة نقدية	د. خالد عبدالكريم البكر	ديسمبر 2019 م – ربيع الآخر 1441 هـ	519
شعرية الرسالة في الرواية العربية	د. عزوز علي إسماعيل	يناير 2020 م – جمادى الأولى 1441 هـ	520
لتعارفوا (محاضرة في التحاضر الإسلامي)	د. محمد جبرون	فبراير 2020 م – جمادى الآخرة 1441 هـ	521
علم اجتماع الأدب	د. عبدالله العرفج	مارس 2020 م – رجب 1441 هـ	522
مفهوم العدول	د. سعيد بكور	يوليو 2020 م – ذي القعدة 1441 هـ	526
الذئب في الخرافات والأساطير العالمية	د. فضل بن عمار العماري	أغسطس 2020 م – ذو الحجة 1441 هـ	527
مشاهير موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم	د. محمد بن فارس الجميل	سبتمبر 2020 م – محرم 1442 هـ	528
مقدمات أحمد أمين	محمد بن سعود الحمد	أكتوبر 2020 م – صفر 1442 هـ	529
مقالات في الأدب والسيرة الذاتية كامل كيلاني (1897 م – 1959 م)	وليد عبد الماجد كساب	نوفمبر 2020 م – ربيع الأول 1442 هـ	530
متعة الأبصار في بلاد البحار والأنهار	سعد بن عبدالله الغريبي	ديسمبر 2020 م – ربيع الآخر 1442 هـ	531
الغناء البديل	أحمد الواصل	يناير 2021 م – جمادى الأولى 1442 هـ	532
العربية لغة النجوم	عبدالرزاق القوسي	فبراير 2021 م – جمادى الآخرة 1442 هـ	533
مدرسة الجبل في الظهران	د. عبدالرحمن بن عبدالله الأحمري	مارس 2021 م – رجب 1442 هـ	534
حمد الجاسر.. التكوين الثقافي	عمر بن سليمان العقيلي	أبريل 2021 م – شعبان 1442 هـ	535
الأدب الإقليمي في الأندلس منطلقه، غاياته، أعلامه	د. عبدالله بن علي ثقفان	مايو 2021 م – رمضان 1442 هـ	536


العربية

قـد يظـن القـارئ الكريـم فـي بداية الأمـر أن دور التاجر في نشر الإسلام لم يتعد حرصه على إدراج العـدد الأكثـر مـن المسلمين الجـدد، بيـد أن هـذا الكتاب -بإذن الله- من شأنه أن يجعلنا نخرج بقناعة تامـة أن أولئـك الأبطـال المجهوليـن مـن التجـار كانـوا يمارسـون نشـاطهم بـكل حماسـة، ودماثة خلـق، ضمن مفهوم حضـاري، لم يغفل أي ناحية مـن نواحـي حيـاة تلـك المجتمعـات التـي تاجـروا معها لإصلاحها؛ فبدلوا العقائد، وعدلوا السلوك، وعربوا الألسن، وأسلموا الأنظمة.


9 771319 025251